الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أدرار

كلية :الآداب واللغات قسم :اللغة العربية وآدابها

الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري

"رحلتي لزيارة قبر الوالد" للشيخ ضيف الله بن أبّ أنموذجا

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:أدب جزائري

★ إعداد الطالبتين:

- ✍ جميلة البحماوي
- ✍ مريم البحماوي

★إشراف الأستاذ:

✎ د/ عبد الله كروم

لجنة المناقشة

د.أحمد مولاي لكبير	أستاذ جامعة أدرار	رئيسا
د.عبد الله كروم	أستاذ جامعة أدرار	مشرفا
د.محمد كنتاوي	أستاذ جامعة أدرار	مناقشا

الموسم الجامعي: 1440/1439 هـ - 2018/ 2019 م

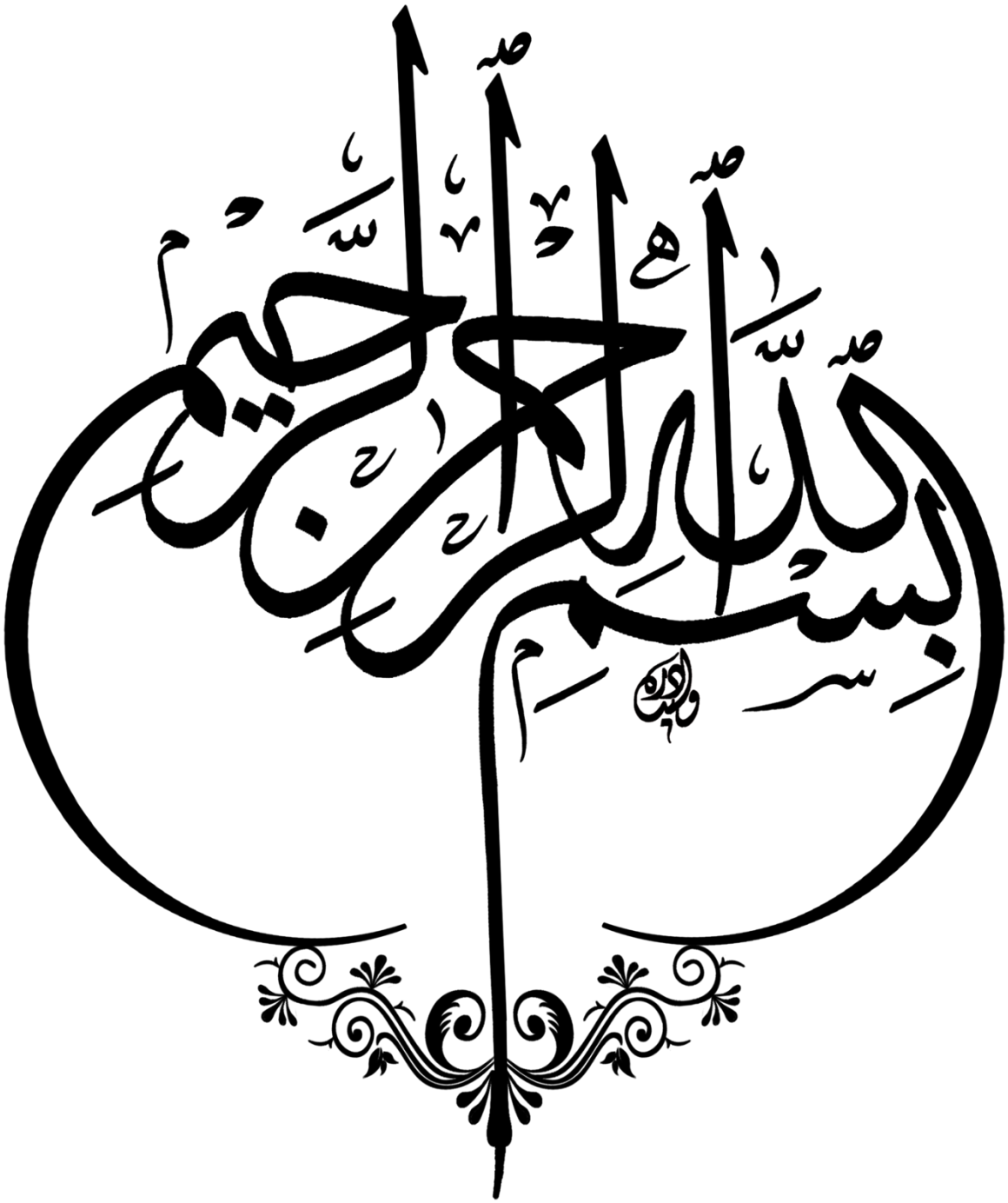
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

اللهم لك الحمد والشكر، وأنت المستعان وأفضل الصلاة والسلام على نبيك المصطفى وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين:

- نهدي هذا العمل المتواضع إلى نبع الحنان وسمة الحياة والداتنا التي سهرت على تربيتنا وعطفت علينا بحبها، ولم تنسنا يوما بأدعيتها، ونصحتنا دائما بالخير، أطال الله في عمرها.

- إلى والدانا الذي ساعدنا في كفاحنا ولم يبخل علينا، وتعب من أجلنا، حفظه الله من كل شر

- إلى أغلى الناس على قلبينا إلى من نشاركهم الحب والعاطفة اخوتنا: محمد، عبد الكريم، عبد الله.

- إلى صديقاتنا العزيزات، حبيبة، حورية، مريم، زهراء، هوارية، عيشوش.

- إلى كل الأعمام والأخوال، والعمات والخالات حفظهم الله.

- إلى جميع أساتذة قسم الأدب العربي جامعة ادرار.

شكـــــر

نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف عبد الله كروم، وكل ما قدمه لنا من مساعدة لإنجاز هذا العمل المتواضع، بارك الله له في عمله وصحته وأمده بالعمر المديد، ونتمنى له المزيد من النجاحات والتوفيق، كما نشكر جميع الأساتذة الذين أسهموا في توجيهنا طيلة إنجاز هذا العمل، وكل من قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد.

مقدمة

مقدمة:

منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض وهو في رحلة إما لاكتشاف ما يحيط به من أسرار، أو بحثا عن طعامه وشرابه، أو بحثاً عن الأمن والعلم وغيرها من الأسباب التي دفعته للارتحال والانتقال من مكان إلى أخر.

لقد عرف العرب الرحلة كغيرهم من الأمم الأخرى، فاخترقوا الجبال وعبروا البحار، إما للحج أو العلم وأحيانا لتجارة، وبهذا فقد لعبو دورا مهماً في نقل ما شاهدوه وما تعرفوا عليه من وقائع وأحوال الدول التي زاروها . فأسهموا بذلك في نقل ثقافات الشعوب الأخرى وعملوا على تشجيع العلماء على الارتحال إلى هذه البلدان والأخذ من علومهم ومعارفهم .

ولمنطقة توات نصيب من الرحلات، والتي عرفوها عبر تاريخهم الطويل، وأدب الرحلة من المدونات الأساسية للتاريخ والموروث الثقافي، ومن هنا ارتأينا أن يكون بحثنا بعنوان"الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري (رحلتي لزيارة قبر الوالد) ضيف الله بن أبّ"

والإشكالية المطروحة:

ما هي أهم الموروثات الثقافية التي أبرزها ضيف الله بن أبّ من خلال رحلته؟ وما مفهوم الرحلة؟

وهل استطاع ضيف الله بن أبّ رصد الموروثات الثقافية السائدة بإقليم توات؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا خطة انقسمت إلى مدخل وفصلين، فأما المدخل فتناولنا فيه مفهوم التراث، ومفهوم الثقافة، والموروث الثقافي وعناصره، أما الفصل الأول فقد تطرقنا فيه إلى تحديد مفهوم الرحلة ودوافعها وأهم أنواعها، ثم قمنا بتحديد مفهوم أدب الرحلة ونشأته وتطوره، كما تحدثنا كذلك عن أدب الرحلة في الجزائر وقيمته.أما الفصل الثاني فهو الفصل التطبيقي المعنون بالموروث الثقافي في رحلة ضيف الله بن أبّ، وقد شمل هذا الفصل مبحثين، المبحث الأول كان حول الرحلة والرحالة، أما المبحث الثاني تناولنا فيه التراث المادي واللامادي في رحلة ضيف الله بن أبّ، والخاتمة كانت عبارة عن حوصلة للبحث، مع ذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال تحليلينا لنص الرحلة.

ولعل الحافز الذي جعلنا نستقي موضوع الرحلة هو شغفنا لمعرفة خبايا الرحلات التي قام بها الرحالون بإقليم توات.

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الوصفي والتاريخي مستندين على آلية التحليل ومن أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في دراستنا :

-ا(لرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية)لسميرة أنساعد.

-(أدب الرحلة في التراث العربي) لفؤاد قنديل.

-(الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية)لصلاح الدين علي الشامي.

-(أدب الرحلة)لحسين نصار.

-(أدب الرحلات الأندلسية والمغربية) لنوال عبد الرحمن الشوابكة.

-(أدب الرحلات الجزائري) لعيسى بختي.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه إلى المولى عز وجل بالدعاء، آملين التوفيق والسداد، كما نشكر الأستاذ المشرف عبد الله كروم على التوجيهات التي قدمها لنا طيلة انجاز هذا البحث.

حرر بأدرار يوم : 15 أبريل 2019

مدخل

1 –مفهوم التراث : للتراث مفهومان، مفهوم لغوي ، ومفهوم اصطلاحي:

أ: التراث لغة:

يقول ابن منظور عن مادة (ورث) في معجمه لسان العرب : الوِرثُ والوَرثُ والإِرثُ والوِراثُ والإِراثُ والتَّراث واحد، والوِرثُ والتّراث والمِيراث : ماوُرِث؛ وقيل: الوِرثُ والميراث في المال، والإِرث في الحسب، والتراث: مايخلفه الرجل لورثته .[1]

أما في القرآن الكريم وردت كلمة التراث في مواضع عدة . قال تعالى :﴿وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ۝٢٠ ﴾.[2]

وقوله تعالى ﴿وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴾[3]

نستنتج أن كلمة تراث وردت في القرآن الكريم بالمعنى الذي دلت عليه المعاجم العربية القديمة وهو المال وما يتركه الإنسان من ممتلكات وعقارات وأغراض .

ب : التراث اصطلاحا :

اختلف أهل الاختصاص في تحديد تعريف مصطلح التراث فقد ذهب محمد التونجي إلى أنه : «ما تخلفه الأمم عبر التاريخ، ويكون مرآة لحضارتها في عادتها وتقاليدها، ومنتجاتها اليدوية، والفكرية، وفنونها، وخبراتها. وما يورثه السلف للخلف، ويكون موضع اعتزاز له »[4]

أما جبور عبد النور فيعرف التراث بأنه: « ماتراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات، وفنون، وعلوم، في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قِوامه الاجتماعي، والانساني ،والسياسي، والتاريخي، والخلقي ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التراث وإغنائه ».[5]

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، المجلد السادس ، ج 3، دار المعارف ، (دط) ، القاهرة، (دت)، ص 4809.

[2] سورة الفجر، الآية 19، 20 .

[3] سورة الأحزاب، الآية 27 .

[4] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط2، 1989 م، ص239 .

[5] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1979، ط2، 1984، ص63.

التراث بهذا المعنى هو ذاكرة الشعوب، تستحضره الثقافة السائدة، وتجسده أنماط الفكر والسلوك، وتختزنه مناخات البيئة، وتؤصله مناهج التربية، وتضمن استمراره وديمومته في واقع حياتي وفكري معرّض للتطور والتبدل[1]

أما التراث بالمفهوم الحديث، هو كل ما وصل إلينا مكتوبا في علم من العلوم، أو محسوسا في فن من الفنون، مما أنتجه الفكر والعمل في التاريخ الإنساني عبر العصور.[2]

إذن، فالتراث هو ما خلفه السابق للاحق من فكر وفنون، وتقاليد سواء أكان مادياً كالآثار،أو معنوياً كالفكر والسلوك، فهو ما ورثه الإنسان المعاصر عن ماضيه أو عن ماضي غيره.

2/الثقافة لغة واصطلاحا:

أ/الثقافة لغة : يقول ابن منظور في مادة (ثَ،قِ،فَ):يقال ثَقِفَ الشئ ثَقْفاً وثقافا :حذقه، ويقال:ثَقِفَ الشئ وهو سرعة التعلم، وثَقُف الرجل ثقافة، أي صار حاذقا.[3]

ب/اصطلاحا:

ثمة عدد من المصطلحات لم تكتسب حتى اليوم في لغتنا العربية مدلولات محددة واضحة، تحيط بموضوعها، وتعبر بدقة عن تجلياتها في الفكر والوجدان ومن هذه المصطلحات مصطلح "الثقافة"الذي يتردد كثيرا في مختلف أوجه أنشطتنا "الثقافية" المكتوبة والشفهية، محملا بدلالات متباينة حينا، وغامضة حينا آخر[4]

يحددها مجدي وهبة في أربعة معان وهي[5] :

-الثقافة هي رياض الملكات البشرية والتي تتجسد في مختلف الإنجاز .

-إنها ترقية للعقل والأخلاق وتنمية الذوق السليم في مختلف الفنون والآداب الجميلة

-تعد إحدى مراحل التقدم في حضارة ما .

-إنها من السمات المميزة لإحدى مراحل التقدم في حضارة من الحضارات

---

[1] إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب نحو،صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه اللغة، أدب، نقد، فكر أدبي، المجلد 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص371.

[2] عبد العزيز بن عثمان التويجري، التراث والهوية ،منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، ايسيسكو، الرباط، المملكة المغربية،2011 م، ص12.

[3] ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ص492.

[4] حبيب يوسف مغنية، في الأدب الحديث والثقافة (رؤى وابعاد، دار مكتبة الهلال للنشر، بيروت، لبنان، ط2010،1م، ص293.

[5] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ط2 (منقحة ومزيدة) 19، ص 129.

من خلال هذه التعاريف يتضح أن للثقافة دلالات متعددة تختلف باختلاف الأزمنة والشعوب، فهناك من حصرها في جانب التقدم الحضاري، وهناك من أخذها بالجوانب المعنوية (الفكرية) أو الجوانب الموضوعية (المادية)، أو بكليهما، باعتبار الثقافة تمثل سيرورة المجتمع الإنساني وإبداعاته الفكرية والعلمية

أما محمد جواد أبو القاسمي يعرف الثقافة في كتابه " نظرية الثقافة " بأنها: أسلوب حياة شعب ما يشمل نماذج تعاقدية من التفكير والسلوك تتضمن قيما ومعتقدات ومقررات وسلوكات ومؤسسات سياسية، وأنشطة اقتصادية وما إلى ذلك، تنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعلم وليس عن طريق التوارث الحيوي[1]

إذن فهي مجموعة الأعراف والتقاليد والمعتقدات والقيم والسلوكيات التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية ويعيشون عليها .

3-مفهوم الموروث الثقافي:

بعد تحديد مفهوم التراث والثقافة يمكن تعريف الموروث الثقافي :بانه ذلك الموروث الثقافي والاجتماعي ،والمادي المكتوب والشفوي ،الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب.[2]

التراث الثقافي كل مترابط ومتصل على مر الزمان في المجتمع الواحد وينتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعلم الواعي وغير الواعي، ويتراكم ذلك التراث بمرور الزمن ويحافظ كل جيل على التراث الثقافي الموروث[3] الذي وصل إلينا وما زال يمتد فينا، وما نزال نحيا بواسطته شئنا أم أبينا وعينا ذلك أم لم نعه، يحضر بأشكال متعددة في ذهنيتنا ومخيلتنا ويتجلى بصور مختلفة في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا ومهما حاولنا القطيعة معه، أو أعلن موته نظريا أو شعوريا، تظل خطاطاته وأنساقه العليا مترسخة في وعينا ومتركزة في مخيلتنا .[4]

ومنه فإن الموروث الثقافي هو تلك العناصر الثقافية المادية والاجتماعية والفكرية التي كانت سائدة في مجتمع ما وتناقلت عبر العصور، وظل المجتمع متمسكا بها، حتى وإن طرأ عليها تغيير يكون تغييرا جزئياً فقط.

4-عناصر الموروث الثقافي:

الموروث الثقافي هو تلك الموروثات الاجتماعية المادية واللامادية ومن خلال هذا المفهوم يمكن حصره في عناصر:

-الموروث الاجتماعي.

---

[1] ينظر:محمد جواد أبو القاسمي، نظرية الثقافة، تر: حيدر نجف، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ، ط1، 2008 ص51.

[2] رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، (دط)، ص21.

[3] عاطف وصفي، الانثربولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص95.

[4] سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)، المركز الثقافي العرب، ط1، 1992، ص125.

-الموروث المادي والفنون الشعبية.

-الموروث الفكري.

1--الموروث الإجتماعي:

هو تلك السلوكات والأفكار والمعتقدات التي كانت سائدة عند أجدادنا وانتقلت لنا عبر العصور وينحصر في ثلاثة عناصر:

ا-المعتقدات: وهي الأفكار التي يؤمن بها المجتمع في ما يتعلق بالعالم الخارجي وعالم ما وراء الطبيعة، فهي تضم المواقف الإنسانية العامة، كما أنها تهتم بالبحث وتصورات الناس عن بعض الظواهر الطبيعية والنفسية، ومن أهم موضوعات المعتقدات الشعبية نجد: الأولياء والكائنات الحية فوق الطبيعية، والسحر والطب الشعبي وغيرها.[1]

ب-العادات والتقاليد:

اهتم الانثربولوجيون (علم الإنسان) اهتماما خاصا بالعادات الاجتماعية على أساس تساعد في تكوين أنماط الأفعال ونماذج الأفكار، فميدان العادات والتقاليد ميدان رحب إذ يشتمل على عادات دورة الحياة منذ الميلاد، الزواج، الوفاة، كما أنه يشتمل على الأعياد والمناسبات مثل الأعياد الدينية ،رأس السنة الهجري، عاشوراء كما أنها تشتمل على المواسم الزراعية والمراسيم الاجتماعية كالاستقبال والتوديع والعلاقات الأسرية المتعلقة بالمأكل والمشرب وغيرها.[2]

ج-الموروثات الشفوية:

وتتمثل هذه الموروثات في العبارات والجمل والأمثال والأشعار والخطب والقصص، إضافة إلى الأغاني الشعبية والأهازيج، والأساطير التي تنعكس في ضمير الشعب وقلبه وعقله انعكاسا مطبوعاً، فكل هذه النماذج لها دور في بلورة مشاعر الأفراد ورغباتهم وهمومهم وأحزانهم ومشاكلهم اتجاه قضايا

حياتهم المباشرة وغير المباشرة بما في ذلك مشاكل الأرض والحصاد وتربية الحيوانات ومختلف الأعمال المتصلة بأمور العيش والحياة.[3]

2-الموروث الثقافي المادي واللامادي والفنون الشعبية:

[1] فاروق أحمد مصطفى، الانثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي (دراسة ميدانية)، دار المعرفة الجامعية،2018 ، ص20.

[2] المرجع نفسه، ص21.

[3] إدريس قرقوة، التراث في المسرح الجزائري(دراسة في الأشكال والمضامين)، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر،الجزائر، ج1، ص45،46.

الثقافة المادية تتمثل في التقنيات والمهارات ووصفات انتقلت عبر الأجيال كبناء البيوت وصناعة الملابس وإعداد الطعام وفلاحة الأرض، صيد الأسماك وغيرها،أما اللامادي فهي التي تشتمل على الموسيقى الشعبية وآلاتها والرقص الشعبي والألعاب الشعبية وفنون التشكيل الشعبي مثل الأشغال اليدوية الخامات المختلفة مثل النسيج بأنواعه والخشب والحديد والفخار والزجاج والنحاس.[1]

إذن فالموروث الثقافي له عناصر عدة كالموروث الاجتماعي والمعتقدات والتقاليد والموروثات الشفوية والمادية واللامادية، وكلها موروثات عبرت عن أفكار وعادات وتقاليد الأمم السابقة.

[1] فاروق أحمد مصطفى، الأنثربولوجيا ودراسة التراث الشعبي، مرجع سابق، ص21.

الفصل الأول

الرحلة العربية وأدب الرحلات

المبحث الأول: حول أدب الرحلة :المفهوم، الدوافع، الأنواع

1 – الرحلة في المفهومين اللغوي والاصطلاحي:

أ – الرحلة لغة :

حظيت مادة " رحل " باهتمام كبير في المعاجم العربية باعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع، ونابعة من واقع البيئة العربية. جاء في لسان العرب : « رحل الرجل إذا سار، أرحلته أنا . ورجلٌ رَحول وقوم رُحَّلُ أي يرتحلون كثيراً»[1]

و «التَّرَحُّل والارتحال : الانتقال، وهو الرِّحلَةُ والرُّحلَةُ . والرحلة : اسم للارتحال للميسر.»[2]

وفي قاموس المحيط للفيروز بادي: «ارْتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان : انتقلوا، كترحَّلُو والاسم الرُّحْلَةُ بالضم والكسر، أو بالكسر : الارتحال، وبالضم : الوجه الذي تقصده، والسفرة الواحدة.»[3]

أما في القرآن الكريم، فقد وردت لفظة رحلة في سورة قريش في قوله تعالى﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾[4]

يظهر أن المفاهيم الواردة في المعاجم اللغوية تكاد تجمع على أن مفهوم الرحلة هو الانتقال من مكان إلى آخر، بمعنى الحركة والانتقال.

ب–الرحلة اصطلاحا :

مصطلح الرحلة مصطلح فضفاض لتعدد مضامينه وأساليبه، وتداخله مع خطابات أخرى كالسيرة الذاتية والتراجم والأدب الجغرافي والمراسلات البعثية .[5]

يعرفها صلاح الدين علي الشامي بأنها : «إنجاز أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه»[6]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج18، ص1609.

[2] المصدر نفسه، ص11, 16.

[3] محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان ،ط8(منقحة مفهرسة)، 2005، ص1005.

[4] سورة قريش، الآية 1، 2.

[5] عيسى بختي، أدب الرحلة الجزائري الحديث (مكونات السرد)، دار هومة للطباعة والنشر، 2014 ، ص16.

[6] صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف بالإسكندرية،ط2، 1999، ص11.

فالرحلة لون أدبي ذو طابع قصصي يحمل فائدة المؤرخ والباحث والجغرافي وعالم الاجتماع وغيرهم، وهي ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة الظروف والأوضاع واكتشاف المعالم والأقطار ووصفها والحكم عليها، فهي إذن وصف لكل ما نطبع من ذلك وسواه في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته وفي احتكاكه بالمحيط يتآزر في ذالك الواقع والخيال وأسلوب القص والحقائق العلمية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية والنفسية وغيرها[1]

2-دوافع الرحلة:

لقد تعددت الدوافع التي حفزت الإنسان إلى القيام بها ومنها:

ا-الدوافع الدينية:

هو الدافع الذي يقضي بشد الرحال من كل حدب وصوب إلى الحجاز والأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج، توبة وتطهيرا للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة، ومن قبيل ذلك التبشير بالدين أو زيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، والمزارات الدينية الأخرى كالمسجد الأقصى وقبور الأنبياء والصحابة والأولياء[2]، إضافة إلى زيارة الأضرحة والزوايا والتكايا* .

وهناك الكثير من العلماء وظفوا رحلة الحج في الوعظ وطلب العلم، ولقاء العلماء ومحاورتهم والأخذ عنهم،وكان سبب بعض الرحلات نشر الإسلام وتعليم فرائضه .[3]

ب-الدوافع العلمية

كان طلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بالرحلات، بغرض الاستزادة من العلم في مناطق أخرى من العالم، ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، وتذكر كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه .[4]

وهناك رحلات لم يسافر فيها الطلاب بل المعلمون للإفادة من علمهم في المجلات العلمية المتنوعة، ورحلات أخرى كان دافعها حضور المؤتمرات والندوات والمهرجانات العلمية والأدبية والفنية، والمشاركة فيها.[5]

---

[1] ياقوت الحموي، شهاب دين أبي عبد الله، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت، (د-ط) ، 1977، 420.

[2] نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، دار المامون لنشر والتوزيع، ط1، 2008، ص26.

[3] حسين نصار، أدب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1991، ص23.

*التكايا مصطلح مشتهر في المشرق ويعني ما تعنيه الزوايا في المغرب الإسلامي.

[4] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب،ط1، 2002، ص19.

[5] حسين نصار، أدب الرحلة، مرجع سابق، ص35.

ج–الدوافع الإدارية:

قد تكون الرحلة للقيام بأعمال رسمية، خدمة للدولة التي ينتمي إليها الرحال كالسفارات التي يوكل بها الرحالة من قبل الحكام ورسالة يتنافس في أدائها من يكلفون بها، مهما كلفهم الأمر من تضحيات. والسفارات بين الدول العربية وما جاورها من الدول غير العربية لم تنقطع، وهذه الرحلات كانت تقام بهدف الصلح وفك الأسرى أو لتصفية الأوضاع السياسية، وقد تكون وليدة علاقات دبلوماسية. كما أنها لعبت دورا مهما في توسيع نطاق المعلومات الجغرافية. [1]

د–الدوافع الاقتصادية:

تعتبر التجارة منذ القديم دافعا للقيام بالرحلة والسفر البعيد والسعي للكسب برا وبحرا، إضافة إلى تبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلاد المسافر، وقد يكون هربا من الغلاء وسعياً وراء الرخص واليسر أو للعمل .[2] وهنا تكون الرحلة قصد الكسب المادي بعامة.

فالتجارة من أهم الأسباب التي أدت إلى تدوين الرحلات وذلك من أجل معرفة طرق التجارة البرية والبحرية، وأول ما ارتبطت به الرحلات علم تقويم البلدات والمسالك والمماليك لوصف الطرق، والمناخ، والعديد من الأمور الأخرى، وذلك لمعرفة الطرق إلى مكة، وتسهيل عملية التجارة في مختلف البلدان، فالرحلة لعبت دورا مهما في معرفة الأماكن والبلدان وغيرها[3] وبهذا كان من الضروري تدوينها .

هـ–الدوافع السياحية والثقافية:

كان الدافع لبعض الرحلات حب الإطلاع والبحث عن الحرية والرغبة في اكتشاف المجهول، والابتعاد عن المألوف والتطلع إلى كل جديد، وقد يكون الملل الناجم عن الحياة الرتيبة التي يعيشها الإنسان دافعاً للرحلة، والرغبة في التغير والتجديد، وقد يخرج الرحال من أجل الاستطلاع وإرضاء فضوله، وباعتبار الرحلة أهم مصدر لزيادة الخبرات فإن كثيرين يلجأ ون إليها من أجل تنمية قدراتهم الذاتية لمواجهة مختلف ظروف الحياة .[4]

---

[1] نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، مرجع سابق، ص40.

[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص20.

[3] ينظر: نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، مرجع سابق، ص49.

[4] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الوفاء، ط1، 1995، ص27.

و–الدوافع الصحية:

تكون للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية، وقد يكون هرباً من وباء أو تلوث.[1]

وهناك عوامل أخرى دعت إلى القيام بالرحلة كالاضطرابات والفتن والحروب، أو الثراء في بعض المجتمعات، وهذا يؤدي إلى رحيل البعض هربا من كل ذالك.[2]

3– أنواع الرحلة:

اختلف الدارسون حول تصنيف الرحلات ففريق اتبع النهج التاريخي، فلجأ الى الفترة الزمنية، وغيرهم خلط بين المنهج التاريخي والجغرافي، وفريق ثالث استنطق النصوص فأخرج أنواعا لا رابط بينهما، وفريق ذهب يعدد ما هو ممكن لا ما هو واقع بالفعل، وفريق – أخير– أقترب من الحق.

فصلاح الدين الشامي حدد ستة أنواع للرحلة، ثلاثة منها كان ظهورها قبل الإسلام وهي : رحلة الحج، ورحلة الحرب، ورحلة السفارة، والثلاثة الأخرى ظهرت بعد الإسلام وهي رحلة الحج، ورحلة طلب العلم ورحلة التجول والطواف .[3]

وأضاف محمد الفاسي على الأنواع المذكورة خمسة عشر نوعا هي الرحلات : الحجازية، والسياسية والرسمية, والدراسية والأثرية، والاستكشافية والزيارية، والسياسية، والعلمية والمقامية، والبلدانية، والخيالية، والفهرسية، والعامة والسفارية [4]

تعددت أنواع الرحلات، ويمكن التركيز على أكثر الأنواع شيوعا كالرحلات العلمية، والدينية والاقتصادية والرسمية .

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص20.

[2] نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، مرجع سابق، ص51.

[3] ينظر: صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافية المبصرة، مرجع سابق، ص112.

[4] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق، ص32.

1-الرحلة العلمية:

كان طلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بالرحلات، ففي الإسلام ارتبط طلب العلم بالرحلة، وكان من العلوم الإسلامية مايرتبط بالرحلة ارتباطا عضويا لا انفصام له، مثل الجغرافيا، ولذلك نجد الجغرافيين المسلمين من الرحالة .[1]

ولعل أشهر رحلة علمية وردت في القرآن الكريم رحلة موسى مع الخضر –عليهما السلام- ليستفيد منه ،يقول تعالى ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾[2]

وكانت الرحلة في القديم رمزا للعالم والمتعلم، فالطالب يبدأ حياته العلمية بالأخذ عن شيوخ وطنه ثم يرحل لاستكمال تعليمه خارج وطنه . ولم تقتصر الرحلات عند المسلمين على طلب العلم والأخذ عن الشيوخ، بل تعدت ذلك إلى نشر علومهم في المدن والأمصار.[3]

ويدخل في إطار الرحلة العلمية ما كان دافع الرحلة فيها حضور الندوات والمؤتمرات والمهرجانات العلمية والأدبية والمشاركة فيها، وهذا النوع من الرحلات وليد العصر الحديث.[4]

---

[1] حسين نصار، أدب الرحلة، مرجع سابق، ص 32.

[2] سورة الكهف، الآية (59-66) .

[3] سميرة أنساعد, الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 26.

[4] حسين نصار، أدب الرحلة، مرجع سابق، ص35.

2-الرحلة الدينية:

من أشهر هذا النوع نجد رحلات الحج والعمرة اللذين كانا من الدوافع القوية التي أدت بالمسلمين إلى الرحلة إلى الحجاز [1] وهي "رحلة فريضة تعبدية خالصة، تجاوب إرادة الله في ركن من أركان الإسلام [2] فالحجاج كانوا يتسامرون مع ذويهم بالحديث عما وقع لهم في سفرهم وما قاموا به في مناسكهم، ويصفوا ما شاهدوه في طريقهم وفي مكة بخاصة، غير أن بعضهم أضاف التدوين إلى السمر الشفوي.[3]

وإضافة إلى الحج زيارة مواقع أخرى منها: زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة وزيارة أضرحة الأنبياء والأولياء الصالحين. ومن أشهر رحلات الحج رحلة ابن جبير، ومحمد العبدري وابن بطوطة وغيرهم كثير ساهم في تصوير فن الرحلات أسلوباً ومضموناً وسجل العديد من الأخبار والمعارف الخاصة بالبلدان العربية والإسلامية وشعوبها .[4]

3-الرحلة الاقتصادية:

لقد كانت التجارة عند العرب منذ القديم دافعا لإنجاز الرحلة لكنها وصلت درجة بالغة الأهمية في العصر العباسي، بعدما تطورت الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي واتسع نطاق التجارة فيه، وتعداه إلى دول أخرى غير إسلامية، فأصبح التجار يسافرون إلى أراض جديدة عن طريق القوافل والسفن فبلغوا بمغامراتهم الصين والهند وإفريقيا وساهموا في نشر الإسلام بهذه الدول، ومن أشهر الرحلات التجارية رحلات ياقوت الحموي (ت626) المتعددة والتي بفضلها ألف كتابه " البلدان" [5]

ولم يقتصر السفر على التجار بل تعداهم إلى العمال، فسافر كثير منهم بقصد العمل، أو لغرض جمع التبرعات والمعونات، وكذلك لتخلص من الديون وغيرها من الأسباب المرتبطة بطرق الكسب والاقتصاد .[6]

4-الرحلة الرسمية:

يضم هذا النوع كلا من الرحلات التكليفية والإدارية والسفارية، وهي خاصة بدوافع عديدة منها، تكليف إحدى إدارات الدولة، أو الحاكم نفسه أحد الرجال أو مجموعة معينة لتحقيق هدف ما، وقد أدى اتساع رقعة

[1] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص27.
[2] ناصر عبدا لرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق، ص116.
[3] حسين نصار، أدب الرحلة، مرجع سابق، ص19.
[4] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص29.
[5] سمرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري،مرجع نفسه، ص29.
[6] حسين نصار، أدب الرحلة، مرجع سابق، ص31.

الدولة إلى اتخاذ عيون وسفراء ينقلون أخبار الولايات الخاضعة لها ومعرفة أخبار العالم الخارجي، ويذهب بعض الدارسين إلى أن التجسس كان سبباً في قيام بعض الرحلات القديمة إضافة إلى الأسباب الإدارية في القيام بها أو الهروب بسبب الاضطرابات السياسية أو الخوف من التعرض للقتل أو الأذى.[1]

المبحث الثاني:أدب الرحلات:المفهوم، النشأة والتطور:

1/مفهوم أدب الرحلات:

هو الأدب الذي يضمنه الكاتب الرحالة انطباعاته، ومشاهداته في الأقطار المختلفة التي يزورها، وتشتمل على وصف الطبيعة الجغرافية،كما تشتمل على وصف عادات الناس وتقاليدهم وأنماط حياتهم وتفكيرهم ونُبذاً عن تاريخهم البعيد والقريب, مما يجعلها في بعض الأحيان مرجعاً وثائقياً تاريخيا هاماً وموضوعا للدراسات المقارنة في مختلف مجالات الأدب، والفكر والحياة.[2]

وجاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، أن أدب الرحلة :هو مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد.[3]

فأدب الرحلة عند مجدي وهبة هو مجموعة المؤلفات التي تتحدث عن مغامرات واقعية قام بها الرحالة، ونتعرف من خلالها على أحوال البلاد التي زاراها وعادات أهلها وسلوكا تهم، وينقل لنا ما تركته في نفسه من انطباعات من خلال مؤلفه.

أما ناصر عبد الرزاق الموافي فيعرفه بأنه:"ذلك النثر الذي يصف رحلة –ورحلات–واقعية، قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرنيين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه.[4]

ومن خلال هذه المفاهيم يتضح أن أدب الرحلة هو وصف الرحالة لما شاهده في رحلته من عادات وتقاليد ،وأخلاق وسلوكات وغيرها تتعلق بالبلد الذي زاره.

---

[1] حسين نصار، أدب الرحلة، مرجع سابق، ص38.

[2] إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص60.

[3] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مرجع سابق، ص17.

[4] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق، ص41.

مميزات أدب الرحلة:

لكل فن من الفنون مميزات وخصائص تميزه عن الفنون الأخرى ومن أهم المميزات والخصائص التي ميزت أدب الرحلة أنها ذات:

طابع موسوعي ومعرفي: فهذا الطابع يعطي للرحالة حرية ويقيده في الوقت ذاته ويحتم عليه ضرورة الاختيار الدقيق الذي يضمن له دوام التواصل مع القارئ، والطابع الموسوعي هو طابع معرفي في الوقت ذاته.

طابع وثائقي: الرحلة وثيقة يمكن الجوع إليها، لأنها محددة الزمان والمكان، ذات أهداف ونتائج ولها مؤلف معروف ويمكن اعتبارها شهادة على العصر الذي عاشه المؤلف، تشمل كافة جوانبه ومحتوياته ويحركها هدف نبيل.

طابع إنساني: فالرحالة يصف الإنسان وكل ما يتعلق به من صفات عامة وخاصة، كما أنه يركز على الجوانب الخُلقية والخِلقية للإنسان، واهتم بصفاته العقلية والنفسية، ودياناته ومعتقداته، كما اهتم بوصف لغته وعاداته وتقاليده .

طابع نقدي: يكون الرحالة في رحلته ناقدا بصيرا ومحايد، ولا يكتفي بالمشاهدة والوصف بل يتعداهما إلى التفسير والنقد، فالرحالة القدامى قد أدركوا هذا الطابع لذا جاءت كتاباتهم سجلا عميقا عن انطباعاتهم عن حياة الشعوب التي زارها، ومظاهر سلوكهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ونظمهم السياسية والاجتماعية.[1]

إذن فالرحلة تتميز بالتنوع والشمول، وهذا ما يميز جل مادون وحرر في أدب الرحلة "فهو يشمل التاريخ والجغرافيا والدين والاجتماع والسياسة، كذلك فإنها تعنى بالوصف الدقيق والتصوير الأمين والنقل الصادق وبدافع تحري الدقة تحريا علميا موضوعيا، وهي عندئذ تتجلى بالابتعاد عن الميل والغرض والذات"[2] وهذا فيما يخص الشمول، أما التنوع فيتمثل فيما يزخر به من مواد ذاتية غنية "فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طور واقعي وأسطوري على السواء، تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة لذا فهو يقدم مادة دسمة متعددة الجوانب، ليس لها مثيل في أدب أي شعب معاصر للعرب.[3]

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) مرجع سابق، ص48.

[2] سيد حامد النساج، مشوار الرحلة، مكتبة غريب لطباعة، القاهرة، (د-ط)(د-ت)، ص9.

[3] ضياء الحق ساري لويسي تواتية، الرحلة في الأدب الجزائري الحديث كتابات أبو القاسم سعد الله، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي التبسي، تبسة،2016،2017 .

2/نشأة الرحلة عند العرب:

إن ميل الإنسان إلى الاستطلاع، ورغبته في السيطرة على العالم الخارجي، ورغبته في الكسب المادي عن طريق التجارة، أمور دفعته منذ أقدم العصور إلى التنقل والرحلات، فاندفع من إقليمه إلى الأقاليم المجاورة يكتشف آفاقها، ويرتاد مجاهلها، وكان له في كل عهد رحلات ومغامرات دلت عليها النقوش والآثار والكتب.[1]

عرف العرب الرحلة منذ العصر الجاهلي، لأنهم أهل بداوة وكانوا دائما في تنقل بحثا عن الكلأ والماء، وكذلك للرعي والتجارة، وهذا يعود لطبيعة حياتهم، فقد كانت لهم رحلات تجارية مزدهرة خاصة مع العراق والشام واليمن وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدوينا خاصا جامعاً لها إلا ما وجد متناثرا في قصائد الشعر، وكتب اللغة، وعن بعض هذه الرحلات يذكر القرآن الكريم رحلات قريش الشهيرة في الشتاء والصيف.[2]

شرع العرب في تأليف رحلاتهم منذ القرن الثالث الهجري (التاسع للميلاد) وطغى على مؤلفاتهم الجانب الجغرافي والتاريخي، وأغلب الرحالة في هذه الفترة كانوا من اللغويين وأبرزهم اللغوي والمؤرخ هشام الكلبي(ت206هـ)، وهو يعد نموذجا للرحالة الخبير بالجزيرة العربية خلال أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث، وقد صنف عديداً من المؤلفات وأهمها " كتاب الأقاليم " و "البلدان الكبير "، وجاء بعده الأصمعي (ت216هـ)، وقد ألف كتاب عن " الأنواء" و"رسالة في صفة الأرض والسماء والنباتات "، وكذلك الجاحظ (ت255هـ) كان له كتاب " الأمصار وعجائب البلدان"

ومن الرحالة الجغرافيين البارزين في هذه الفترة نجد ابن موسى المنجم (ت259هـ) كانت له رحلة إلى بلاد الروم، ونجد كذلك التاجر سليمان الذي أبحر عدة مرات إلى الهند والصين ودوّن جانب من الرحلات ونقلها منه أبو يزيد السرافي [3]

إضافة إلى رحلة أحمد بن وهب بن واضح الجغرافي الإخباري المعروف ب " اليعقوبي " إلى أرمينية وفارس والهند والجزيرة العربية وبلاد الشام والمغرب والأندلس وقد كتب مشاهداته في كتابه "البلدان"[4]

عرف القرن الثالث الهجري رحالين مختلفين منهم من كان لغويا، وكانت لهم رحلات عديدة أمثال الأصمعي والجاحظ، كما عرفت هذه الفترة رحالة جغرافيين كابن موسى المنجم والتاجر سليمان، حيث اهتمَّ هؤلاء الرحالة بوصف البلدان التي زاروها وصفا دقيقا.

---

[1] جان عبد الله توما، أدب الرحلة والرحالون العرب، المؤسسة الحديثة للكتاب ،لبنان،ط1،2014، ص9.

[2] ينظر:فؤاد قنديل، الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص70.

[4] جان عبد الله توما، أدب الرحلة والرحالون العرب، مرجع سابق، ص16.

أما في القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) فقد ظهر رحالة كبار من أهمهم المسعودي (346) صاحب " مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وابن فضلان وكذلك أبو دلف (مسعر بن مهلهل) الرحالة الشاعر الصعلوك الذي زار عديدا من البلدان منها الصين، كما شهد هذا القرن أيضا ظهور أبي زيد البلخي، وله كتاب مفقود حتى الآن، وأعقبته كتب عن رحلات أخرى للأصطخري والمقدسي وغيرهم من رحالة وجغرافيي هذا القرن. أما في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) برزت رحلات مهمة قام بها الطبيب البغدادي ابن بطلان عام 404هـ إلى الشام وأنطاكيا والقسطنطينية وكذلك رحلة البيروني(ت404هـ) في كتابه " تحقيق ما للهند من مقولة "، وهذا الكتاب لا يضم الرحلات والجغرافيا فقط، وإنما يحتوي أيضا على آراء في الدين والفلسفة والتاريخ إلى أن نصل إلى أبي عبيد عبد الله البكري(ت487هـ) وهو أكبر رحالة الأندلس في هذا القرن له كتابان "المسالك والمماليك " و"معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع ". [1]

عرف أدب الرحلة في منتصف هذا القرن دخول بعض رحالة المغرب الإسلامي إلى هذا العالم بعد أن كان قاصرا على رحالة المشرق، ومنهم محمد بن عمر العذري الذي ارتحل إلى الشرق وعاش في مكة تسعة أعوام، وخلف كتاب سماه" نظام المرجان في المسالك والممالك."أما القرن السابع الهجري فقد برز فيه ياقوت الحموي(ت626هـ) و صدر له كتاب "معجم البلدان "، وكذلك الرحالة عبد اللطيف البغدادي(ت629هـ) والذي نال شهرة كبيرة بفضل كتابه الذي ألفه بعد زيارته لمصر"الإفادة والاعتبار في أمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر"، إضافة إلى الرحالة يوسف بن يعقوب الدمشقي المشهور بابن المجاور(ت569هـ) الذي ارتحل إلى الجزيرة العربية وعدن وجزر المحيط الهندي فخلف لنا كتاب "تاريخ المستبصر".وفي نهاية هذا القرن يبرز لنا الرحالة الفقيه محمد العبدري الذي بدأ رحلته عام 688هـ مخلفا لنا كتابه " الرحلة المغربية" الذي وصف لنا فيه بلاد الشمال الإفريقي .[2]

أما القرن الثامن فقد شهد ظهور الرحالة شمس الدين الدمشقي (ت727هـ) له كتاب" نخبة الدهر في عجائب البر والبحر"، وبرز كذلك الرحالة أبي الفدا (ت732هـ)، والذي كان حاكما لحلب ودمشق وقد أحب الرحلة والتاريخ والجغرافيا، له مصنفين كبيرين هما: " مختصر تاريخ البشر" و" تقويم البلدان "، وقد حظي الكتابان باهتمام خاص لدى مؤرخي العلم في أوروبا. وفي هذا القرن برز أكبر رحالة جال مختلف الأقطار والأمصار صاحب كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" إنه الرحالة ابن بطوطة أبو عبد الله اللواتي الطنجي، إضافة

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص72.

[2] المرجع نفسه، ص76.

إلى الرحالة والسياسي والمؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون(ت808هـ)، والذي ضمن رحلاته في كتابه " التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا".[1]

لقد عرفت الرحلة العربية ابتداء من أواخر القرن السادس الهجري تحولات في اتجاه الكتابة من اعتناء بجغرافية البلدان وآثارها الحضارية إلى اعتناء بسرد يوميات الرحلة، وذكر الكثير من خصوصياته، وأفكاره، وانتقاداته مع تحول في الطابع الأسلوبي للكتابة كذلك، إذا أصبح أسلوباً سردياً وقصصياً، وبهذا انتقلت الرحلة من الطابع العلمي إلى الطابع الأدبي، وقد مثل "الإدريسي" من خلال كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ليأتي بعده ابن "جبير" (ت614) برحلته "تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار "، وهي أول رحلة في الأدب العربي كفن مستقل عن التاريخ والجغرافيا . أما محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت776) فقد فاق ابن جبير شهرة بكتابه"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " حتى عدَّ أشهر الرحالين شرقاً وغربًا.[2]

أما في القرنيين التاسع والعاشر الهجريين عرفت الرحلة تقلصاً نسبيا مقارنة بالقرون السابقة، أما في القرنين الحادي عشرة والثاني عشرة لا نكاد نسمع إلا رحلتي "النابلسي " و"الطرابلسي " والعياشي " ويعود ذلك لأسباب نذكر منها :

- المشكلات السياسية والاقتصادية التي عرفها العالم العربي.
- زوال دولة الإسلام من اسبانيا .
- النكوص الثقافي والحضاري والتدهور الإنساني بشكل عام.
- سقوط كل دولة تحت عبء مشكلاتها الداخلية والنزاع على السلطة.
- بدء الكشوف الجغرافية الكبرى، واكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين وبداية الصعود الحضاري الأوروبي.[3]

لتعرف الرحلة ازدهارا في عصر النهضة، وظهور الطباعة وحركة الترجمة من خلال البعثات العلمية إلى أوربا التي قام بها رفاعة الطهطاوي وكذلك رحلة فارس الشدياق ومعظم رواد النهضة الحديثة في العالم العربي من أمثال محمد السنوسي (1851-1900)الذي قام برحلات إلى إيطاليا وآسيا الصغرى والحجاز.[4]

---

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص78.

[2] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص42.

[3] فؤاد قنديل، الرحلة في الأدب العربي، مرجع سابق ،ص81.

[4] عبد الله كروم ،الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار النشر دحلب، (دط)،2007 ص44-45.

يلاحظ المتتبع لمسار التأليف في الرحلات العربية أن الرحلة مرت بمراحل إذ طغى عليها الطابع التاريخي والجغرافي في البدايات الأولى ومع القرن السادس الهجري انتقلت إلى الطابع الأدبي وسرد يوميات الرحالة، لتعرف بعد ذلك ركودا في القرنيين التاسع والعاشر الهجريين، لتعود إلى البزوغ والازدهار في عصر النهضة.

3/ أدب الرحلة في الجزائر وقيمته:

كان للجزائريين مساهمة واضحة في كتابة الرحلات خاصة في القرن الثاني عشر (18)، فكان بعض رحلاتهم نتيجة للحج بهذا تعتبر رحلات حجازية، وبعضها نتيجة لطلب العلم وبذلك تكون رحلات علمية، ولكن الجزائريين مقارنة بكتاب الرحلات المغاربة،كانوا قليلي الإنتاج ويرجع ذلك لتوزع أغلب العلماء الجزائريين في العالم الإسلامي ولم يعودوا إلى الجزائر ليكتبوا ملاحظاتهم إلى مواطنيهم أمثال عيسى الثعالبي، وأحمد المقري وغيرهم .[1]

وأقدم الرحلات التي تنسب إلى ما قبل العهد العثماني، هي رحلة (التوجيني التلمساني)، التي قال عنها عبد الحي الكتاني إنها في عدة مؤلفات،كما أن أحمد المقري قد ساق في (أزهار الرياض)، رحلة لجده محمد المقري التلمساني، المعروف بأنه أستاذ ابن خلدون، وتنسب إلى أحمد القسنطيني، المعروف بابن قنفذ رحلة تعتبر في حكم الضائعة، ولعلها موجودة بتونس.[2] أما الرحلات خلال العهد العثماني تنقسم إلى علمية وحجازية.

ا/الرحلات العلمية

وهي تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة أحيانا،ومن أقدم من فعل ذلك عاشور بن موسى القسنطيني (ت1074)المعروف بالفُكَيرين، فقد نشأ في قسنطينة وأخذ العلم عن والده وغيره،توفي والده سنة 1054فشد الرحال لطلب العلم في عدة بلدان، مما مكن له الاطلاع والملاحظة وحذق لهجات ومعرفة قبائل وشعوب وبلدان، ومن البلدان التي قصدها تلمسان والمغرب الأقصى، وكذلك السودان، فرحلة عاشور رحلة "مسموعة"وغير مكتوبة قد أمليت على بعض التلاميذ الذين كانوا يعجبون بأخباره وغرائبه.

ومن الرحلات العلمية المكتوبة رحلة عبد الرزاق بن حمادوش الذي عاش في القرن الثاني عشر، فهي رحلة قام بها لطلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر إلى تطوان ومكناس وفاس، ثم عاد إلى الجزائر من تطوان، وقد وصف الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب وسجل ملاحظاته في رحلته التي تعرف ب"لسان المقال".[3]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء1، دار الغرب الإسلامي، ط1،1998، ص381.

[2] عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، مرجع سابق، ص46.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ لجزائر الثقافي، ج1، مرجع سابق، ص384

وآخر هذه الرحلات رحلة (ابن الدين الأغواطي)، والتي كتبها في أواخر العشرينيات من القرن التاسع عشر استجابة لطلب مساعد القنصل الأمريكي بالجزائر (وليام هود سون)، وقد تحدث الأغواطي في رحلته عن الصحراء، وقراها، وواحاتها، وعاداتها، وتقاليدها، وذكر توات، وأولف وتحدث أيضا عن جزء من الجزيرة العربية، وشنقيط وغيرها.[1]

ب-الرحلات الحجازية:وتنقسم إلى قسمين شعرية ونثرية، فالشعرية منها ما كتب بالشعر الفصيح ونجد ذلك عند محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني من خلال قصيدة همزية فرغ منها سنة 1152وصف فيها مراحل رحلته من تازة، حيث كان يقيم إلى الحرمين الشريفين ثم منهما إلى الشام، ونظم كذلك عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي رحلته من مجاجة إلى مكة المكرمة سنة1063 ورد فيها أخبار عن الجزائر وتونس ومصر وطرابلس، أما محمد بن مسائب التلمساني قد نظم قصيدة في الشعر الملحون قص فيها رحلته من تلمسان إلى مكة المكرمة.

أما في النثر توجد رحلات كثيرة نذكر منها رحلة البوني المسماة "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية" لكن هذه الرحلة تعتبر اليوم ضائعة، ورحلة ابن عمار المسماة "نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب"إضافة إلى رحلة الورتلاني وهي من أشهر الرحلات الحجازية، إذ تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في القرن الثاني عشر (18م).[2]

أما في العهد الاستعماري فقد وظف المستعمر الرحلة لتحسين صورته وتحقيق أغراضه الاستعمارية، وتعتبر رحلتا سليمان بن صيام، وأحمد ولد قاد، المنجزتان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والمعنونتان على التوالي ب"الرحلة الصيامية"و"الرحلة القادية في مدح فرنسا وتبصير أهل البادية"من الرحلات التي مثلت التوجه الجديد لدى الرحالة الجزائريين فهي تخدم الأغراض الاستعمارية الفرنسية وتمثل دعاية صريحة لها، إذ حاول الكاتبان إظهار الإعجاب الشديد والانبهار الذي أصابهما عند مشاهدة آثار الحضارة والتمدن في البلاد الفرنسية.[3]

أما في القرن العشرين فقد نمت الرحلة وتطورت وانفتحت على الخارج بوجه سياسي نضالي، وقد فرض على الرحالة الدخول في معركة ذات جهات مختلفة أولهما مع المستعمر وثانيهما مع مظاهر التخلف والأمية والفقر والجهل فلم تعد الرحلة إذن نزهات خالصة ولا معلومات تاريخية بحتة، بل غدت ضربا من النضال السياسي

[1] عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، مرجع سابق، ص47.

[2] المرجع نفسه، ص387.

[3] سميرة انساعد،الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص47، 48.

والاجتماعي والثقافي لتغير الواقع، ونذكر منها رحلات الشيخ عبد الحميد بن باديس داخل الوطن، التي دونها في مجلة الشهاب، ورحلات البشير الإبراهيمي إلى الأقطار الإسلامية، ورحلات المفكر مالك بن نبي لإيقاظ الأمة الإسلامية ورحلات العديد من العلماء والأدباء الجزائريين المحدثين .[1]

أدب الرحلة في إقليم توات

لقد كان للتواتيين رحلات كثيرة عبر تاريخهم الطويل، وكثرة تنقلاتهم بين العواصم والمدن التاريخية سواء لأداء فريضة الحج والعمرة، أو لطلب العلم والمعرفة، وعملوا على تدوين رحلاتهم التي شكلت لنا مع مرور الزمن مادة تاريخية هامة.ومن أشهر الذين أرخوا لأحداث رحلاتهم المختلفة في منطقة توات نذكر:

1-الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التينلاني(1189هـ)

عرف بكثرة رحلاته وتنقلاته طلبا للعلم أولا وزيارة الروضة الشريفة وأداء مناسك الحج ثانيا، ولقد أرخ لنا أربع رحلات منها رحلته للحج والتي جاءت تلبية لطلب أحد أصدقائه في أمر مرافقتهما إلى الحج.[2]

2- مولاي أحمد بن هاشم العموري

كان الرحالة مهتما بالأنساب والأعراف وخصوصا معرفة نسب وأخبار قبيلته، ففي رحلته إلى المستور برقان عدد القصور التي زارها ودخلها وسجل ما فيها من الأنساب وأي معلومات تتعلق بها .

عبد الله بن أحمد الفلاني:(ت أوائل القرن13هـ)

له رحلة إلى الديار التواتية، انطلق فيها من تدكلت بأقبلي سعى فيها لطلب العلم بتوات، فدرس في زاجلو وتينلان، وأشار فيها إلى المكوس والضرائب التي كانت تفرض على أهالي المنطقة، وذكر أن الجامع عند الأتوات يسمى بالمخزن.

الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي:

الرحالة الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي عالم جليل قدم إلى توات عن طريق موريتانيا ثم مالي ليصل إلى توات في رحلة يهدف منها الإصلاح والدعوة ونشر العلم، وكذلك البحث عن منطقة آمنة ومستقرة، ومهيأ نفسيا، واجتماعيا لمشروعه وهو الذي سمى توات بأنها مواتية للعبادة.[3]

الشيخ سيدي عبد الرحمن بن ادريس بن عمر بن يوسف التينلاني (118 هـ)

[1] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري،مرجع سابق، ص49.

[2] أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات(أبحاث في التراث)، منشورات الحضارة، ط1، 2011، ص455-456.

[3] عبدكروم، الرحلات في اقليم توات، مرجع سابق، ص93

علما في أصول الفقه والتفسير أخذ عن الشيخ بن محمد بن احميد ثم سافر إلى فاس توفي في شهر جمادى الثانية 1233هـ، له رحلة مشهورة إلى الجزائر العاصمة(1231هـ)

الشيخ سيدي أبي حفص سيدي عمر بن سيدي الحاج عبد القادر التينلاني(1152هـ)

له رحلة مشهورة في طلب العلم انطلق فيها من منطقة توات وصولا إلى مدينة فاس بالمغرب، واستمرت من 1117هـ حتى أواخر1129هـ، تحدث فيها عن سببه في السفر والمتمثل في اللقاء بشيخ يحل له ألفاظ ومعاني ألفية ابن مالك في النحو، لأن بلدته كانت خالية من العلماء.[1]

الحاج أحمد التينلاني(ت1990م)

له رحلة شعبية متداولة في الأوساط الشعبية التواتية قام بها لزيارة فقبر الولي مولاي عبد الله الرقاني، ويذكر فيها انطلاقته من محطة الحافلات، والقصور التي دخل إليها مع وصف أهلها.[2]

ضيف الله بن أب:(ت أواخر القرن 12هـ)

قام الرحالة برحلة لزيارة قبر والده بتيميمون، وذكر فيا القصور التي زارها في القصور الثلاث لتوات، وتعتبر هذه الرحلة جليلة القدر عظيمة القيمة فيها غرائب الأسفار وأوصاف الأقوام وطباع الناس، والفوائد الأدبية والملح والنكت.[3]

سنفصل في الحديث عن هذا الرحال ورحلته بشكل مطول في الفصل الثاني لأنها موضوع الدراسة.

قيمة أدب الرحلات :

فن الرحلات من الفنون التي تشمل معظم نواحي الحياة، ويضم مادة وفيرة تهم المؤرخ والجغرافيا وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير.فهي سجل لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور، فالرحالة أثناء رحلته ينقل مختلف مظاهر الحياة سواء سمعها أو شاهدها، ولاشك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة الملاحظة ودرجة الاهتمام، ومهما كان بينهما من اختلاف فالرحلات قيمتان عظيمتان :قيمة علمية، وأخرى أدبية [4]

[1] أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات (أبحاث في التراث)، مرجع سابق، ص460.

[2] عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، مرجع سابق، ص96.

[3] المرجع نفسه، ص84.

[4] ينظر حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، (منقحة ومزيدة)، 1983، ص6.

-القيمة العلمية:

اكتسب أدب الرحلات القيمة العلمية من خلال مايحتويه من معارف جغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية وغيرها، مما يدونه الرحالة من جراء اتصاله المباشر بالطبيعة وبالناس وبالحياة من خلال رحلته[1]، فهو ينقل مايراه ليضعه في أيدي الجغرافين أو المؤرخين أو علماء الاجتماع والاقتصاديين.

أبرز دور قامت به الرحلة هو الخدمة الخدمة التي قدمها لعلم الجغرافيا، فقد كان الرحالة في وصفه للمسالك والمماليك معينا للجغرافي؛ لأنه يكتب بالقلم الذي اتصل بالظواهر الجغرافية والطبيعية اتصالا مباشر، كما كان ذا نفع للمؤرخ ولعالم الاجتماع وللأديب والفلكي والفيلسوف والسياسي والاقتصادي[2]

كما تعتبر الرحلة أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين،إضافة إلى وصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها وأحوال الشعوب التي اختلطو بها سواء كانت الرحلة فعلية أو من نسج قصص الخيال.[3]

القيمة الأدبية:

تكتسي كتب الرحلات أهمية كبيرة في رصد الحياة الثقافية والاجتماعية وتصوير حضارتهم وطرق عيشهم. ولقد أرجع محمد الخضر حسين الفضل لكتب الرحلات في أنها حفظت لنا جانب من التاريخ، إذ أودعت تلك الكتب الكثير مما شاهداه مؤلفوها، من أحوال الدول و وقائعها كما، كما كان لها دور في توطيد العلاقات بين الشعوب، فالرحالة لا ينزل لوطن " إلا التقى بطائفة من فضلائه، والشأن أن يصف لهم بعض النواحي من حياة قومه العلمية والاجتماعية، ثم إذا عاد إلى وطنه وصف لهم حال الأوطان التي نزل بها، فيكون كل من الشعوب التي رحل إليها أو نزل بها على خبرة من حال الشعوب الأخرى"[4]

فالقيمة الأدبية للرحلات تتجلى في تلك الروائع الأدبية والأساليب الفنية التي تقدم فيها الرحلة موادها لترتفع بها إلى علم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، ورغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف وغيره،فإن ما يميزه هو أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد

[1] حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، مرجع سابق، ص6.

[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مرجع سابق، ص23.

[3] حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، (د،ط)، 1978، ص15.

[4] ينظر: سميرة انساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري(دراسة في النشأة والتطور والبنية)، مرجع سابق، ص38.

المشوق، وذلك لما يقدمه من متعة ذهنية كبرى. وبفضل غنى موضوعات أدب الرحلة ابتعد أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة .[1]

أبرز ما يميز أدب الرحلات تنوع الأسلوب من السرد القصصي للمغامرات والعواطف المحركة للبشر إلى الحوار والوصف الطريف وغيره [2]، فهو شمولي لذ" فلقد أثار هذا الأدب اهتماما بالغاً بسبب تنوعه وغنى مادته، فهو تارة علمي وتارة شعبي، وهو طورا واقعي وأسطوري على السواء تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة، لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب"[3]

إذن فقيمة أدب الرحلة تتمثل في الجانب التاريخي والجغرافي، والجانب الأدبي ثم الجانب الوثائقي وهذا ما اكسبه أهمية كبيرة ومكنه من رصد الحياة الثقافية والاجتماعية لمختلف الأمم فهو أدب شامل ومتنوع.

[1] سميرة انساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، مرجع السابق، ص23.

[2] نوال الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، مرجع سابق، ص54.

[3] حسني محمود حسين، أدب الرحلات عند العرب، مرجع سابق، ص8.

الفصل الثاني:
الموروث الثقافي في رحلة
ضيف الله بن أبا

المبحث لأول: بين الكاتب والكتاب

1-نبذة عن صاحب الرحلة :

ولد الشيخ ضيف الله بن أب المزمري كما أخبر والده يوم السبت السادس عشر من شهر شوال سنة ثمانية وعشرين ومائة وألف (1128) بزاوية كنتة، وحيث دعا له والده منذ ولادته بقوله : « أصلحه الله وجعله من حملة القرآن »، وعلق سيدي ضيف الله على دعوة أبيه بقوله « فقبل الله دعاءه..... ولم يكتب مثل ذلك لأحد من أولاده»، ويواصل الشيخ التعريف بنفسه في رحلته قائلا: «وكان والدي يباهي بي أولاده في عيشة، وشاوريني في كثير من أموره مع صغر سني ...وأشركني في كثير كتب حبّسها»[1]، من أبناء الشيخ سيدي محمد الذي سماه باسم جده تبركا بالرسول صلى الله عليه وسلم .

تعلم ودرس على يد والده العالم المشهور، وكانت الرحلة من أجل زيارة قبر والده بمنطقة تيميمون، وسماه (الرحلة لزيارة قبر الوالد)، وكان ضيف الله كما وصفه أحد قضاة عصره اشعر من أبيه محمد بن أب، وله عديد القصائد الشعرية، منها مرثية في أبيه،ومن مؤلفاته أيضا مخطوطه المسمى"الحصون المنيعة في أحكام الوزيعة"، وكذلك مخطوط"قصيدة في جمع أذكار الفدية من النار" والى جانب التأليف، مارس الشيخ سيدي ضيف الله بن أب نسخ المخطوطات التي وقعت في يده ليكون منها مكتبته الخاصة. [2]

2/ حول الرحلة

هي رحلة قام بها لزيارة قبر والده من بلدته إلى تيميمون، وهي رحلة طويلة تقع في 111 ورقة وكتبت بدقة و رقة، وهي محاولة جادة من المؤلف لرصد وتتبع مجموع أخباره وأخبار والده الشيخ محمد بن أب على مدار محطات رحلات ثلاث قام بها المؤلف انطلاقا من مسقط رأسه زاوية كنتة وسط توات، مرورا بإقليم تدكلت موطن آبائه وأجداده وصولا إلى قبر والده في مدينة تيميمون بإقليم قورارة أخيرا، وقد كانت الرحلة الأولى من المؤلف في حياة والده الشيخ سيدي محمد بن أب –كما قال- وبقي معه عشرين يوما، أما الرحلة الثانية فقد جاءت بعد تلقيه نبأ وفاة والده، لكنها لم تكتمل وتوقفت عند حدود بلدة تاسفوت بعودة ابن عمه سيدي محمد وديعة الله الذي رجع ومعه جزء من تركة المرحوم، فهم المؤلف راجعا لبلدة زاوية كنتة، ومن هناك استعد للرحلة الثالثة والكبيرة لزيارة قبر والده، وعرج فيها على إقليم تدكلت ليجمع ارث والده وما أرسله من كتب إلى بلدة أقبلي، ومن ثم واصل سيره اتجاه قبر والده بمدينة تيميمون.

---

[1] ينظر:أحمد أبا الصافي جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات، ج1، منشورات الحضارة، ط1، 2009، ص42-43.

[2] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، تح:أحمد أبا ربا جعفري، دار الكتاب العربي، (دط)،(دت)، ص36.

الهدف من هذه الرحلة هو زيارة قبر والده سيدي محمد بن أب وجمع كتبه وإرسالها لبلده، أما البلدان التي وقف عندها انطلاقا من بلده زاوية كنتة فهي: بوعلي، سالي، تيمادنين، زاوية الرقاني، زاوية حينون، ثم بلدة أقبلي، ومنها خرج المؤلف متوجها لزيارة قبر أمه بقصر أولاد أحمد بالقرب من زاوية حينون، ثم توجه إلى زاوية تقرافت، ثم بلدة أولف ومنه إلى بلدة إنبلبال وبلدة أفران ليصل أخيرا إلى مقصده تيميمون.[1]

وذكر المؤلف في رحلته الفوائد والفرائد، و أشعارا له أو عن غيره، وأكثر من ذكر الطعام والإشادة به، والتفاضل بين القصور في إعداد الطعام.[2]

المبحث الثاني: التراث المادي واللامادي في رحلة ضيف الله بن أب

1-التراث المادي في رحلة ضيف الله بن أب :

إن الموروث المادي هو كل ما ينتجه الإنسان من أشياء تقليدية ملموسة كالصناعات التقليدية والطبخ واللباس التقليدي والعادات والتقاليد وغيرها.

أ: الزوايا:

الزاوية اسم يطلق على مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني، عرفت في أوائل القرن 8هـ وكانت تطلق على مكان معد للعبادة، كالمساجد، وتشتمل على مرافق للطلبة المجاورين بها، وإيوائها للواردين عليها وعابر السبيل، سميت في بادئ أمرها دار الكرامة ثم دار الضيافة، أما عند أهل توات فمصطلح الزوايا يشير إلى الصدقات الجارية التي يحبسها الشخص في حياته وبعد وفاته في نص موثق ومحدد، لينتفع بها عامة الخلق، لها مكان وموقع خاص ويشرف عليها الشخص المؤسس لها، والزاوية عندهم تنقسم إلى ثلاثة أنواع: زوايا الضيافة، زوايا العلم، زوايا الضيافة والعلم معا[3]

للزوايا دور كبير في حياة الفرد لهذا وقف عليها الرحالون ووصفوها في رحلاتهم لما لها من أهمية، ومن أهم الزوايا التي وقف عندها الرحالة ضيف الله بن أب : زاوية سيدي الحاج بلقاسم الحسين وهي تابعة إلى بلدية ودائرة تيميمون، تأسست في القرن 10هـ، وأهل هذه الزاوية يتصفون بالكرم والتواضع. وكذلك زاوية تقرافت التي أسسها الشيخ سيدي محمد ولد سيدي أحمد القرافي اليوسفي الذي كان يعيش في تقرافت وأصله من قصور توات، وذكر

[1] ينظر:كتاب الندوة الأولى حول تاريخ أولاد السي حمو بلحاج، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مجموعة من الباحثين، ط1ص10-11.

[2] ينظر:عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، مرجع سابق، ص86.

[3] أحمد جعفري، من تاريخ توات (أبحاث في التراث)، منشورات الحضارة، ط1، 2011، ص594.

المؤلف أن هذه الزاوية تقوم على النوبات" أنهم لايغفلون عن أحد، ولا يتعامون عنه سواء كان رفيعا أو وضيعا وزاويتهم على النوبات"[1]؛ أي أن الضيف حين يدخل القرية تكون ضيافته مناوبة بينهم ويتكفل مرابط الزاوية والقائم عليها بتنظيم المسألة بين المعنيين بالمناوبة. إضافة إلى الزاوية الرقادية والتي تشتهر أيضا بالزاوية الكنتية، ولقد أسس هذه الزاوية سيدي أحمد بن محمد الرقادي، وعند وصول الرحالة إلى بلده دخل للزاوية قائلا " فجئنا لبلدنا الزاوية الرقادية عند العصر".

إذن فالرحالة وقف عند مجموعة من الزوايا ووصفها وأشاد بها وبقيمتها،وقدم عنها معلومات مهمة سواء تعلق الأمر بتأسيسها أو مؤسسها.

ب- المساجد :

هي من أهم البنايات في القصر، يكون منبرها ووجهها باتجاه القبلة، وتكون لها هندسة خاصة ، عمادها الأروقة المفصولة بالأقواس، ويكون في مقدمة المساجد منبر في شكل فتحة نصف دائرية في الجدار القبلي للمسجد ومن المساجد التي ذكرت في الرحلة نجد :

-مسجد إنبلبال بإقليم تديكلت : وهو مسجد يقع وسطاً بين مقبرة الصبيان وروضة سيدي محمد النية، له سقيفة واحدة باتجاه القبلة وساحة واسعة خلفها"فد خلت المسجد فإذا هو ما فيه إلا سقيفة واحد مسقفة بالصفى"[2]*

-المسجد القديم ببلدة أوعالية وهو مسجد أثري قديم يوجد ببلدة أوعالية أو العالية كما سماها المؤلف ولقد وصف هذا المسجد بأنه" أضيق من التابوت وأهون من بيت العنكبوت، فيه بيت واحد فقط صغير جدا."[3]

-مسجد قصبة أولاد سيدي ابراهيم: يوجد هذا المسجد وسط تيميمون، وهو مسجد قديم تأسس سنة1150هـ الموافق1737م، أعيد بناؤه سنة 1402هـ الموافق 1982م.

مسجد الشريف مولاي عبد المالك الرقاني (ت1207هـ): يحمل هذا المسجد اسم الشيخ المؤسس له، يوجد بالقصبة بالزاوية الرقانية ببلدة تيمادنين برقان.

-مسجد مولاي عبد الله الرقاني (ت1148 هـ):يحمل اسم مؤسسه ويوجد وسط القصر القديم بالزاوية الرقانية.

---

[1] ضيف الله بن أب رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص229.

[2] المصدر نفسه، ص253.

*نوع من الحجارة العريضة المصفحة تستعمل في تغطية المساجد والبيوت وغيرها.

[3] المصدر نفسه، ص308.

-مسجد محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت909هـ):وهو مسجد قديم يحمل اسم الشيخ المؤسس للزاوية، موجود وسط قصر بوعلي.

- مسجد الشيخ سيدي أحمد بن سيدي بحمو: مسجد أثري يوجد وسط قصر البيض يحمل اسم مؤسسه، وهو قريب من بيته ودار أضيافه.

ج-الأضرحة:

هي أبنية في شكل قباب تتفاوت طرق بنائها وهندستها من منطقة إلى أخرى، وتعتبر الأضرحة من أهم العمارة التي اعتنى ببنائها التواتيون تقديسا منهم لساكنيها الموتى من العلماء والأولياء، وتختلف تصميم هذه الأضرحة من منطقة إلى أخرى داخل الإقليم الواحد، إلا أن لها طابع عاما يوحدها من بناء مقبب في شكل مربع او دائري له مدخل صغير.[1]

ومن أهم الأضرحة التي ورد ذكرها في الرحلة نجد:

-1:ضريح الشيخ سيدي محمد بن أب:

يوجد هذا الضريح وسط مقبرة سيدي عثمان بالقرب من قصبة أولاد إبراهيم، وقصبة أولاد يحي بن موسى، أين كان يقيم بتيميمون. وضريحه معلوم إلى جوار ضريح الولي الصالح سيدي عثمان، والناس يتوجهون إلى هذا الضريح للترحم وختم القرآن على قبره وعلى الموتى جميعا صبيحة كل خميس بعد طلوع الشمس، يقول الكاتب "فلما أصبح الصباح سرت للجبانة فزرت ضريح والدي رحمه الله"[2]

2-روضة سيدي بوتدارة:

توجد هذه الروضة في بلدة إيكيس، وسيدي بوتدارة من أولياء الله الصالحين وقيل أن اسمه اقترن بالتدارة * وذلك أن الرجل كان يحضر التدارة مملؤة بالسفوف ويضعها على ساقية الماء ليأكل منها عابرو السبيل فسمي باسمها، ولقد زار الرحالة هذه الروضة عند دخوله إلى بلدة إيكيس"فبينما نحن كذلك إذ بجماعة من أهل إيكيس، وقد كنا جزنا على فم قصرهم، وزرنا روضة جدهم بوتدارة"[3] ، لكن الكاتب لم يصف هذه الروضة.

3-ضريح الولي الصالح سيدي المختار بن محمد الكنتي:

[1] أحمد جعفري، من تاريخ توات (أبحاث في التراث)، مرجع سابق، ص594.

[2] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص333.

[3] المصدر نفسه، ص133.

*هي وعاء يضع فيه مكان سكان توات التمر المدقوق، والمسمى عندهم بالسفوف.

يوجد هذا الضريح في بلدة الجديد بلدية تامست دائرة فنوغيل،فالكاتب يذكر أنه عند دخوله المنطقة ترك أصحابه خارج البلد ودخل لزيارة "حبيبنا في الله سيدي أحمد بن حماد والسيد أحمد بن يحي، وضريح الولي الصالح سيدي المختار بن محمد"[1]

4- ضريح سيدي علي بن حنيني (ت1115هـ) :

يوجد هذا الضريح ببلدة أولاد المؤدن المعروفة بزاجلو، وعند دخول الرحالة إلى هذا البلد قام بزيارة هذا الضريح قائلا: " فخرجت فزرت ضريح البركة سيدي علي بن حنيني"[2]

5- ضريح سيدي محمد بن باسيدي :

لضريح موجود بين بلدة أقبلي وبلدة أولاد أحمد بزاوية حينون يقول المؤلف: "فمررت بضريح صهري الفاضل الارضى النجيب صاحب السر الموهوب والفضل المنسوب سيدي محمد بن باسيدي "[3] فزاره ودعا له.

6-ضريح الصالح مولاي عبد الله الرقاني:

نشأ بقرية تاوريت من قرى رقان، والرحالة عند وصوله إلى تمدنين قام بزيارة الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني "سرت أنا وصاحبي على بعيري قاصدين زيارة الولي الصالح مولاي عبد الله الرقاني"[4]

7- ضريح الولي الصالح مولاي عبد الرحمان بن مولاي عبد الله بن هيبة :

يوجد هذا الضريح بمقبرة أولف لكبير، وتوجد قبور وأضرحة بقية أبناء مولاي عبد الله بن هيبة الثلاثة:مولاي هبة، ومولاي محمد، ومولاي عمار.

د- العادات والتقاليد:

يعتبر المجتمع التواتي من أفضل المجتمعات من حيث متانة العلاقات العامة التي يسودها الود والتراحم والتآخي، وهذا ما استنبطوه من دينهم الإسلام الذي يحث على الصدق والمحبة بين المسلمين، وحتى الغريب عنهم يعاملونه بمحبة لأن من طبعهم الكرم والوفاء، ولهم عادات وتقاليد أغلبها لا يخرج عن أوامر الشريعة الإسلامية، حيث نجدهم يكرمون الضيف ويسعون إلى تحقيق سعادته وراحته إلى درجة انه يصبح فردا منهم، وهذا ما أشار

[1] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص162.
[2] المصدر نفسه، ص209.
[3] المصدر نفسه، ص63.
[4] المصدر نفسه، ص218.

إليه المؤلف في رحلته إلى أنه إذا حل بأي بلدة من بلدات الإقليم فإنه يُسْتَقبل بالعديد من الأطباق الشهية المتنوعة من تمر وعنب وخبز مغشى بالسمن وغيرها.

فمن عادات المجتمع التواتي أنهم يستقبلون الضيف بصدر رحب، ويذكر الكاتب أنه ببلدة تاسفاوة استقبل أحسن :"فأدخلنا داراً تشهد لبانيها بالثراء والكرم والغنى، فبسط فيها قطيفة تنوء بالعصبة أولي القوة، فمكثنا يسيرا فأرسل لنا تمرا بامخلوف*لا تصفه الألسن.... وعند الزوال أرسل لنا تَسَدْبِيت** يحملها أصحابه كأنها جنازة في كساء"[1]

وتكرر الأمر مع المؤلف في أغلب البلدان التي زاراها، فيذكر أنه عند دخوله إلى بلدة وفران*** حظي بأحسن ضيافة حيث يقول:" فوصلنا وقوف الشمس إلى مدينة وفران.عمره الله بأهله أميين، وهو قصر كبير مشتمل على قصرين أو ثلاثة، وماؤه عذب فرات... فسرنا حتى دخلنا دار الأضياف، ووجدناهم فرشوا لنا قطيفة كبيرة "[2] وذكر أن من عادات أهل وفران تقديم التمر واللبن والعنب والغذاء لضيوفهم، وطعامهم دائما يكون مصحوبا بالسمن واللحم.

-الطعام(الكسكس):

إن الضيف إذا حل بأهل توات لا يذهب إلا إذا تناول الطعام عندهم، ويعتبر طبق الكسكس من *الأطباق* الجزائرية التقليدية *الأصيلة* التي يفتخر أهل توات ويقدمونها كطبق لضيوفهم، ويتناوله الفرد التواتي يوميا ويطلق عليه "العيش" أو "الطعام"، يتم تحضيره من قبل النساء بطريقة جماعية إذ يجتمع النساء عند صاحبة الدعوة وتحضر لهم الدقيق و السميد والملح والماء، ويحضرون معهم الأدوات المساعدة في تشكيل الكسكس، ويقدم باللحم والخضر.

وصف الرحالة ضيف الله بن أب طعام إقسطن بناحية قورارة بأنه بخضرته وطريقة تحضيره أشبه ما يكون بطعام إقليم توات "وإذا طعامهم بخضرته ويعاودونه كطعام توات"[3] والمعاودة في الطعام هي طريقة معروفة في تحضير الطعام التواتي، حيث يعرض للبخار ثم ينزلونه إلى الماء ليمتصه وبعدها يعاودون عرضه للبخار مرة أخرى، وهذه العملية تسمى بالمعاودة.

---

[1] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص133.

*بامخلوف: وهو من أجود التمور الموجودة في منطقة توات

**تسدبيت: هي الكسرة التي تدفن في التراب وتعد للمسافر بعد تهيئته للسفر.

***وفران من بلدات دائرة أوقروت.

[2] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص283.

[3] المصدر نفسه، ص461.

-التنزه:

من الأعراف السائدة عند أهل توات خرجوهم ليلا في فصل الصيف لشم الهواء النقي والفسحة، كما من عادتهم النوم في العروق الرملية في فصل الصيف لأن بها برودة منعشة تساعد الإنسان على النوم وهذه العادة يختص بها الذكور، وقد صادف الرحالة هذه العادة في أحد المناطق وشبههم بالظباء"وبعض البائتون في العروق كأنهم الظباء في الرمل "[1] وهذه العادة موجودة عند بعض القرى الجزائرية إلى يومنا هذا خاصة في الجنوب.

-أكل السفوف:

نجد عادة أكل السفوف* وهي من العادات الاجتماعية السائدة في الأقاليم الثلاث (توات، قورارة، تديكلت) وهي عادة لها طريقة خاصة لتناولها"فينهي عن شِرْكَة السفوف ويقضي منه مراده وحده ويدفعه لنا، ولقد أجاد في ذلك لأن الإنسان لا يتمكن منه إذا قلب رأسه، كالدجاجة إذا شربت لاسيما تمر توات الذي هو ضعيف الرَّب* فلا يتمكن الإنسان من ضمه في يده "[2]

-نهب اللحم:

إضافة إلى عادة نهب اللحم التي كانت موجودة منذ القدم، والتي استبدلت حديثا بعادة توزيع اللحم على الحضور، والمعروف محليا بالتسمار"ومما اشتهر عندنا مما ينكره غيرنا نهب اللحم على الموائد وذلك من قديم إلى هلم جرا، وربما صار فعله مدحا وتركه ذما لأنه كثر فاعلوه حتى صار من لم يفعله خارجا عن جماعتنا"[3] ،والسبب الذي كان يدعوهم للقيام بعادة نهب اللحم هو الخوف من سوء العلاقة بين الجميع جراء التوزيع الغير العادل لذا فضلوا اعادة أكله جماعة بدل من قيام شخص واحد بتوزيعه، وبهذا نلاحظ أن المجتمع التواتي يسعى إلى توطيد العلاقات والأخوة فيما بينهم .

-أسلان:

كما أنه من العادات التي كانت سائدة عند سكان تيديكلت قديما عادة أسلان؛ وهي عادة دعوة االعريس لأكبر عدد من الناس لوليمة عرسه والهدف من ذلك جمع أكبر عدد من الإعانات، حيث يقوم أقارب العريس بحمل إناء ثم يقوم الحاضرون للوليمة بوضع النقود في هذا الإناء مع الجهر بالمبلغ واسم واضعه والعائلة التي ينتسب

---

[1] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص197.

[2] المصدر نفسه، ص161.

[3] المصدر نفسه، ص158.

*السفوف: هو التمر الذي يجفف ثم يدق إلى أجزاء صغيرة ويحتفظ به للأكل.

إليها، وهذا المبلغ الذي يجمع يقدم للعريس لمساعدته، وهذه العادة انتقدها والد الرحالة محمد بن أب المزمري وأوصاه بأن لا يدعو إلى وليمة عرسه إلا القليل من جماعة البلدة وكبار السن «ونؤكد عليك غذا دخلت فلا تدعو لوليمتك إلا القليل من الجماعة، وهم كبار السن الذين لا تحدثهم نفسهم إنك تريد منهم (أسلان)»[1]

-المسحراتي في رمضان:

ولا يزال أهل الجنوب متمسكين ببعض العادات المرتبطة بشهر رمضان إلى يومنا هذا، وهي عادة الدندون أو "بوسحور"؛ وهو الرجل الذي يقوم بإيقاظ الناس للسحور في رمضان في وقت لم تكن فيه المنبهات، وأخذ هذا الاسم من الطبل الذي يحمله ويضرب عليه في تجواله بين البيوت لإيقاظ الناس. وقد أشار المؤلف في هذه الرحلة بأنه كان لا ينتقل من مكان إلى أخر إلا إذا ضرب الدندون "فلما ضرب صاحب الدندون، وتسميه الحنافيسة بوسحور، ارتحلنا من المنصور "[2] ومع نهاية شهر رمضان يأخذ أجرته وهي عبارة عن تمر.

ولأهل توات بعض العادات في تعاملهم مع أسراب البعوض التي تشهدها المنطقة أحيانا فالرحالة قال :"بأنه يكثر عندهم البعوض في بعض الأزمنة، حتى أن بعضهم إذا أراد أن يسقي حرثه أوقد النار في أمقوس عن يمينه وشماله، فيكثر الدخان فيخف عنه"[3]

هـ- اللباس والأواني المنزلية التقليدية:

وتتمثل في الصناعة التقليدية كصناعة الأواني الفخارية والسعفية والنسيج خاصة الزربية، والألبسة كالقشبية والبرنوس وغيرها، وكذلك صناعة بعض الآلات الموسيقية التقليدية مثل الطبلة التي يتم صناعتها بجلد الماعز حيث تجلد به قصعة من اللوح متوسطة الحجم، وكذلك صناعة الألبسة التقليدية[4]، ومن الفنون التقليدية التي كانت حاضرة في نص الرحلة نجد:

الغرارة: وهي وعاء مصنوع من ألياف النخل، تستعمل لحمل الأمتعة على الدواب، كما تستعمل أيضا كمكيال لشتى أنواع الحبوب خاصة الزرع بأنواعه.

الطبيقة: وهي ما يوضع فيه التمر وغيره، وتصنع من سعف النخيل ونحوها، وهي مثل الطبق دائرية بعض الشئ

[1] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، ص68.

[2] المصدر نفسه، ص477.

[3] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، ج2، ص144-145.

[4] ينظر:التيجاني مياطة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية(دور التراث المادي واللامادي لمجتمع وادي سوف في تحديد ملامح الهوية الثقافية وتكاملها)، العدد السادس، افريل2014، ص159.

"فما لبث أن جاء بثمرات كأنها وزنت في ميزان الذهب في طبيقة"[1]

المشربة: هي عبارة عن إناء من خشب مقعر، تستعمله العامة في أصله لشرب الماء والحليب، لكنه يستعمل لحمل الفواكه وغيرها."فخرجنا للرمل وبعد صلاة المغرب أرسل لنا مشربة عنب"[2]

العشابية: كلمة يطلقها أهل توات على العباءة والجلابة وما يدور في فلكهما.

القصعة : هي من الأواني المستعملة للأكل يختلف حجمها باختلاف عدد الأشخاص الذين يقدم لهم فيها الأكل،ويتم صنعها من شجر الطلح.

2-الموروث اللامادي:

الموروث اللامادي هو مجموعة الآراء والأفكار والمشاعر التي تتناقل جيلا عن جيل، ويضم الحكايات الشعبية والأشعار، والقصائد المتغنى بها، والأمثال السائرة والألغاز، فالموروث اللامادي يشمل جميع السمات الثقافية غير الملموسة، وكلها تلعب دورا هاما في سلوكنا وحياتنا اليومية.[3]

ا-الموروث الفكري: إن الموروث الفكري بارز بقوة في رحلة ضيف الله بن أب، إذ كان هدفه من هذه الرحلة جمع كتب والده، وفي هذه الرحلة قام بعدة لقاءات علمية جمعته مع أولياء وعلماء عصره الذين استفاد منهم واستفادوا منه .

ومن الشخصيات الدينية والعلمية التي التقى بها المؤلف ضيف الله بن أب الأديب والشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي الجعفري*، الرجل الفقهي أحد علماء الأقليم التواتي، والذي قال عنه الرحالة "...وكنت أنا والسيد محمد بن المبروك نازلين عند البركة سيدي عبد الرحمن بن السيد موسى في دار واحدة، فتذاكرت معه وأفادني وأفدته"[4]، إضافة إلى لقائه العلمي مع أحد فقهاء منطقة أوقرت ودارت بينهما فوائد علمية كثيرة يقول المؤلف عن هذا اللقاء:"التقيت مع طالب بأقروت برجوعنا هذا فكنت جالسا معه نتذاكر خبر الشيخ حتى قال لي أبياتا سمع الشيخ يقرأها إذا همه أمر"[5]

---

[1] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص307.

[2] المصدر نفسه، ص440.

[3] التيجاني مياطة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، مرجع سابق، ص166.

[4] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مرجع سابق، ص223.

*الشيخ سيدي محمد بن المبروك البداوي هو ابن سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله، أختلف في تاريخ وفاته قيل 1198هـ-1195هـ .

[5] المصدر نفسه، ص106.

لقد حاول الرحالة في رحلته جمع جل الأخبار المتعلقة بوالده الشيخ محمد بن أب المذمري بالإضافة إلى المعلومات العلمية والدينية، وتمجيد العلماء والعلم؛ حيث اهتموا بالعلم اهتماما كبيرا فكانت مساجد إقليم توات تشهد حراك علمي طيلة أوقات النهار، ولقد شاهد الرحالة ذلك في العديد من البلدان التي نزل بها ومن بينها بلدة الجديد"فجئنا لبلد الجديد ارتفاع الشمس، وزرنا ضريح الولي أبو الأيتام والأرامل المختار بن محمد –نفعنا الله به– ودخلت البلد فوجدت حلقة البخاري"[1]

ونقل لنا ميزة اختص بها سكان إقليم توات وهي تعظيمهم للكتب، فالشيخ محمد بن أب يوصي ابنه بذلك كما ينقل عنه:"كان يأمرنا بتعظيم الكتب وحفظها، وأن لا نُجْعلَ في التراب، ولو كانت نقية "[2]، فهو يرى أن من لم يعظمها لا ينتفع بها، وبقدر اهتمامنا وحرصنا بالكتب وتعظيمها نستفيد وننتفع بها.

في رحلة ضيف الله بن أب نجده يشير إلى بعض المبادلات والنقول الخطية للمخطوطات، حيث طُلب منه من قبل العديد من الأشخاص إعارة بعض مؤلفاته لنسخها وإرجاعها، وأشار إلى أن المنطقة ذات كنوز معرفية هائلة تحتفظ بها داخل المكتبات والخزائن الشعبية الخاصة التي ضمت أمهات المخطوطات، وزار والد ضيف الله بن أب بعض المكتبات ووصف عنوانيها، والرحالة كان لا يأخذ مخطوط إلا وعمل على معرفة نوع خطهن والطابع الذي كتب به، وبعدها التعرف على صاحبه فعند لقائه بقاضي من بلدة تل* طلب ضيف الله بن أب أن يرى الكاغد الذي كان في يدي القاضي بهدف معرفة نوع الخط والطابع الذي كتب به "حاجتي أعرف الطابع والخط"[3]

كما جاءت الرحلة مليئة بالقضايا الفكرية والفقهية الدينية التي كانت سائدة في عصر المؤلف، حيث نراه يعرض بعض الفوائد والوصايا الدينية والدنيوية، وكذلك بعض الغرائب والمضحكات لدفع الملل.

ومن الفوائد التي قدمها المؤلف كيفية حفظ أوعيته وكتبه وما عز عليه، إضافة إلى فوائد مجربة لإذهاب الهم والخوف وغيرها. فالمؤلف لم يكتفي بتقديم هذه الفوائد التي نقاها عن والده بل تعداها إلى مناقشة المسائل فقهيا، وتقديم أهم ما وقف عليه في ذلك من مواقف وآراء الفقهاء.

[1] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص503.

[2] المصدر نفسه، ص110.

* تل:قرية تابعة إلى تيميمون

[3] المصدر نفسه، ص439.

كما سجل الرحالة العديد من المعلومات التاريخية والثقافية التي أرخت لوفاة بعض علماء توات ومن بينهم الشيخ سيدي عمر الرقادي الكنتي «وجدت في كناش عند العالم الأديب، الفاضل الأريب الظريف اللبيبن سيدي محمد الدْرَاوي –وكان حج مع شيخنا سيدي عمر –...وليلته مات السيد المذكور»[1]

ومن العلماء الذين أرخت الرحلة لتاريخ وفاتهم أيضا الشيخ سيدي عبد الرحمن الجنتوري، والشيخ سيدي محمد بن الصوفي البادرياني، والشيخ سيدي محمد بن محمود وكلهم ماتوا في عام الستين من قرن المؤلف «توفي فيه العالم العلامة البحر الفهامة سيدي الحاج عبد الرحمن الجنتوري ليلة الاثنين الخامس من جمادي الأولى حدثني سيدي الحاج خالد أنه حين أخبر والدي بموته قال له مات سيد الحاج عبد الرحمن الجنتوري ...ثم بعده السيد محمد بن الصوفي البادرياني الأحد ليلة الخامس وعشرين منه"[2]

–حكايا الغزاة:

ومن الأحداث التاريخية التي حوتها الرحلة هي حادثة الغزو التي كانت تعيشيها المنطقة وبخاصة من قبائل الغنائمة وما كانت تخلفه من هلع وخوف لدى السكان، وتعرض الرحالة لهذا عند نزوله بعزي «فلما أخذنا مضاجعنا، ومرت علينا سِنَة إذ(بفرس) ذكر قطع قيده...والبائتون في العروق كأنهم الظباء في الرمل، فلما سمعو صهيل الخيل اختلطت الأصوات، وكثر اللغط، ودخلوا هاربين لبلدهم ظانين أننا الغنائمة»[3]

كما أرخ لنا الرحالة بعض الأوضاع التي عرفتها بلدة فجيج، إذ كانت بلدة معروفة بالفتن والحروب حتى صاروا يفتخرون به، لهذا نجد الرحالة يتعجب كيف لهذه القرية أن تنجب علماء« والشريف مولانا أبو القاسم الفجيجي رجل صالح، والعجب كيف خرج من بلدة مثله، وهي بلدة كثيرة الشرور والفتن »[4]

ومن القضايا التاريخية التي أرخها الرحالة في رحلته القتال الدائر بين أولاد زنان* وبين بعض القبائل الأخرى بناحية تدكلت تحديدا، فعند وصوله إلى قصر أخواله أولاد أحمد أراد أن يصل رحمهم لكنه خاف أن يقع بينهم شجار ويصيبه مكروه «فإذا هم مقنعون بالسلاح قبالة أولاد زنان، وإذا أولاد زنان كذلك، فأردت أن أمشي بينهم لأصل رحمهم، وأزور والدتي في مقبرتهم، فخفت أن يقع بينهم قتال فتصيبني مصيبة بينهم »[5]

---

[1] ضيف الله بن أب، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص93.

[2] المصدر نفسه، ص357.

[3] المصدر نفسه، ص197.

[4] المصدر نفسه، ص354.

* زنان هم طائفة قدموا من تلمسان إلى توات واسسوا قصر الجديد في أولف العرب.

[5] المصدر نفسه، ص225.

ب–المعتقدات والأساطير:

تعتبر المعتقدات الشعبية أحد جوانب الثقافة المهمة التي يتلقاها الإنسان من معتقداته وعاداته وتقاليده، فهي الأفكار التي يؤمن بها الفرد عن العالم الخارجي وعالم ما وراء الطبيعة.

ومن المعتقدات الشائعة في إقليم توات والتي لا يزالون يؤمنون ويتمسكون بها، اعتقادهم بالقدرات الخارقة التي يمتلكها الأولياء الصالحون بعد موتهم، والتوسل بهم والتبرك بكراماتهم والدعاء لهم، فهم يعتبرون أضرحة الأولياء مكان مقدس لا يمكن إلحاق الضرر به أو ارتكاب أي عمل سيء أمامها، لأنهم يعتقدون أن هذا الولي سيعاقبهم على ذلك. كما أن أهالي إقليم توات يؤمنون بأن تعليق التمائم يجلب لهم المنفعة ويدفع عنهم الأمراض والضرر، ومن التمائم ما يعلق في العمامة على الرأس لطلب الحوائج.

ومن المعتقدات السائدة عند أهل توات تسمية جبل عندهم بجبل إبليس والذي يوجد ببلدة فجيج، إذ يعتقدون أن إبليس هبط فيه من الجنة وله سمات إبليس؛ أي أنه جبل أسود، وحجارته سود، ولا ينبت شي وأن داوم عليه المطر، وكذلك يعتقدون أن إبليس يلد كل يوم" ثلاث بيضات، كل بيضة يخرج منها سبعون ألف شيطان[1]

ج– التراث الشعبي:

وهي ما أنتجته الذاكرة الجماعية من فنون لتعبر عن آلامها وهمومها ولتروح عن نفسها من تعب النهار، والتي تتناقل من جيل إلى جيل لضمان استمراريتها، وتضم الأمثال والقصص والحكايات والأشعار وغيرها، إلا أن الرحلة التي وقفنا عندها لا تضم كل هذه الموروثات الشفوية.

فمنطقة توات يمتلكون كما هائلا من الموروثات الشفوية التي تعبر عن تاريخها وكيانها ووجودها، ومن الموروثات الشفوية التي وردت في رحلة ضيف الله بن أبّ نجد:

الشعر الشعبي الملحون الذي قال فيه الشيخ سيدي بادي* عندما كان مع أصحاب له في الصحراء وأصابهم جوع شديد وعطش، فقدم له أحد أصحابه شئ من الأكل بعد عزله عن الجماعة فأبى إلا أن يحضر أصحابه فقال في ذلك:

عار عيش سود الرمش وأهجع راش الأ هداب

ما يزور فم هبش ما يذوقها الأصحاب

أما الشاعر مولاي محمد بن عبد الله قال لما أدركه العيد في شمكو:

[1] ضيف الله بن أبّ، رحلتي لزيارة قبر الوالد، مصدر سابق، ص335.

*الشيخ سيدي بادي بن الشيخ سيدي أمحمد من آل سيدي المختار الشيخ دفين بلدة زاوية كنتة، كان يعيش بأقبلي .

اليوم عيدنا في شـــمكو بت بجمر عشو

قلت لن نوصل يوم العلو يوم تسماح المرات

وفبانتـــي مل لوثو يحدث من بين الفغات

ووردت في الرحلة أبيات شعرية باللهجة التواتية ينشدها العامة طلبا للصبر

اصبـــر ياقـلـــــــــــبي اتاتيك الصبر كيف اصبر اجمال على حملو

يتوقف مسكين على ما أصاب احوى كنت غايس فيه واعراه انحل

يعاري فالقافل غياب اهلي

ففي هذه الأبيات الشاعر يطلب الصبر من قلبه تأسيا بالجمل الصابر على حمله الثقيل وهو يتوقف بين الفينة والأخرى طالبا حمله.

أما بالنسبة للأمثال كانت حاضرة في الرحلة، إذ كان الرحالة ضيف الله بن أب يستحضرها في مواقف عاشها، فالأمثال الشعبية مرآة عاكسة للمجتمع، فهي تحمل حكمة مستخلصة من تجارب الحياة اليومية، وتعتبر من أكثر الأنواع الأدبية الشعبية شيوعا، بحيث لا تجد إنسان إلا ويحفظها مهما كان جاهلا وأميا، ومن الأمثال التي استحضرها الرحالة خلال رحلته نذكر منها:

"الضيف العزيز يبات بلا عشا "(رحلتي لزيارة قبر الوالد، ص229) : وهذا المثل يضرب ليدل على أن الشيء النفيس والغالي أحيانا قد لا يقدر تماما، مثل الضيف المهم والعزيز الذي لا يمكن توقع نسيانه قد ينسى ويبقى بلا عشاء، وذلك من كثرة التركيز عليه، وهذا ما حدث مع الرحالة أثناء زيارته لبلدة تقرافت بناحية تديكلت؛ فمن شدة وحرص سكان البلدة على ضيافته أدى إلى عدم تناول العشاء عند أي منهم، وهذا ما جعله يستحضر هذا المثل.

" العاقل بغمزه والأحمق بدبزة "(ص240): يضرب هذا المثل ليدل على أن اللبيب يفهم بالإشارة، وقد استحضره الرحالة ليبين أنه فهم إشارة أبيه الذي رفض سفر ابنه لناحية الصحراء وذلك لصعوبة الحياة فيها .

" الويل حازني على حديثك يا مسعودة "(ص331): وهو مثل يراد به أن الإنسان تجبره الضرورة على تقبل الأمور كيفما كانت، والسبب في استحضار المؤلف لهذا المثل، أنه لم يكن مخيرا في اختيار مرافقيه في هذه الرحلة، كما أنها جمعته بشتى الأصناف من الناس .

" عام الستين بيع الكسا وشري السكين " (ص355): ضَرب هذا المثل عند حديثه عن عام ستين وما وقع فيه من أحداث مخيفة والتي شهدتها بعض بلدان إقليم توات.

"لمش إلا ما صاب التاغويا يقول خانزة "(ص400) : وهو مثل عامي تضربه العامة لمن لم يتمكن من تحقيق الشيء الذي يرغب فيه، والمش هو القط ومعروف عنه حبه الشديد للحم، والتاغويا هي وعاء لحفظ الحليب ويصنع هذا الواعاء من القرعة المجففة مع تفريغ وسطها.

ومن الأمثال ننتقل إلى مجال الألغاز، وهي كل كلام أو قول أخفي مراده عن السامع، ليستخدم فكره للوصول إلى المعنى الأصلي. وقد عرف التواتيون الألغاز كغيرهم من المجتمعات العربية، فهي عنصر هام لاختبار الذكاء وإدارة المجالس العامة، والتسلية الهادفة، والتربية النافعة، فالألغاز تأتي في شكل أسئلة مسجوعة جزلة العبارة موجز المبنى دقيقة المعنى.[1]

ومن الألغاز التي وردت في الرحلة نجد لغزاً واحداً ذا بعد ديني:

"رجل يتيمم ويصلي، وهو واجد الماء، قادر على استعماله، ولم يضق الوقت"، ذكر الكاتب أن جواب هذا اللغز هو (الكافر).

[1] أحمد أبا صافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية، منشورات الحضارة، ط1، 2014، ص545.

خاتمة

خاتمة:

وأخيرا نصل في ختام هذه الدراسة التي تضمنت الموروث الثقافي في رحلة ضيف الله بن أبّ (رحلتي لزيارة قبر الوالد) إلى استخلاص النتائج التالية :

-الرحلة من الفنون التي حظيت بشهرة واهتمام من قبل الأدباء والعلماء، فقد عملت على وصف البلدان ونقل عاداتها وتقاليدها وثقافتها.

-تنوعت وتعددت دوافع الرحلة بين دوافع دينية، وعلمية، واقتصادية وغيرها، إلا أن الدافع العلمي والديني كانا من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بالرحلات.

-إن أدب الرحلة يتميز بالتنوع والشمول في الخطاب، فهو يشمل التاريخ والجغرافيا والدين وعلم الاجتماع والسياسية

-تزخر رحلة ضيف الله بن أبّ بالعديد من الموروثات الثقافية المتنوعة إذ تضمنت الموروثات المادية (الزوايا-الأضرحة)، وأرخت للعديد من العادات والتقاليد التي يتميز بها إقليم توات عن باقي المجتمعات، وأولى اهتمام كبير بالموروث الفكري، لأن الهدف من رحلته جمع كتب والده محمد بن أب المزمري التي كانت متناثرة في بعض القصور (البلدان).

-لقد استطاع الرحالة التأريخ للعديد من الموروثات التي كانت في طريق الاندثار: كعادة أسلان التي يعرف بها سكان تديكلت، إضافة إلى عادة نهب اللحم التي كانت موجودة قديما واستبدلت بعادة توزيع اللحم أو (التسمار) كما هو معروف محليا .

- إن الرحالة ضيف الله بن أبّ عرفنا من خلال رحلته بالعديد من العلماء المشهورين في منطقة توات الذين جمعته لقاءات علمية بهم

-عملت رحلة ضيف الله بن أبّ على رصد الحياة الثقافية والاجتماعية لإقليم (قورارة، تديكلت، توات) وعاداته وتقاليده

الملحقات

ضريح الشيخ مولاي عبد الله الرقاني .

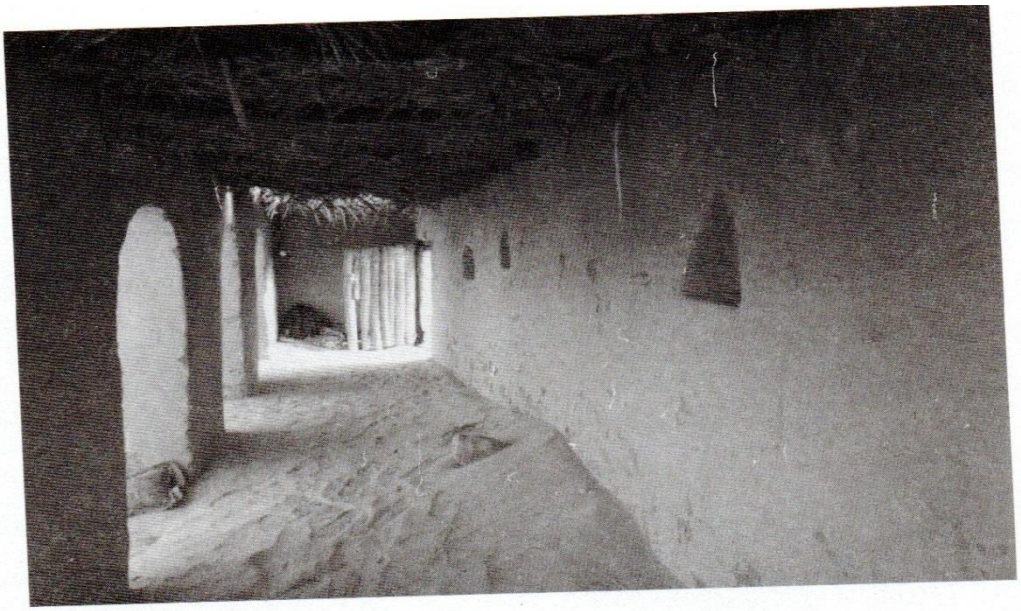

بقايا آثار مسجد الشريف مولاي عبد الله الرقاني بالزاوية الرقانية

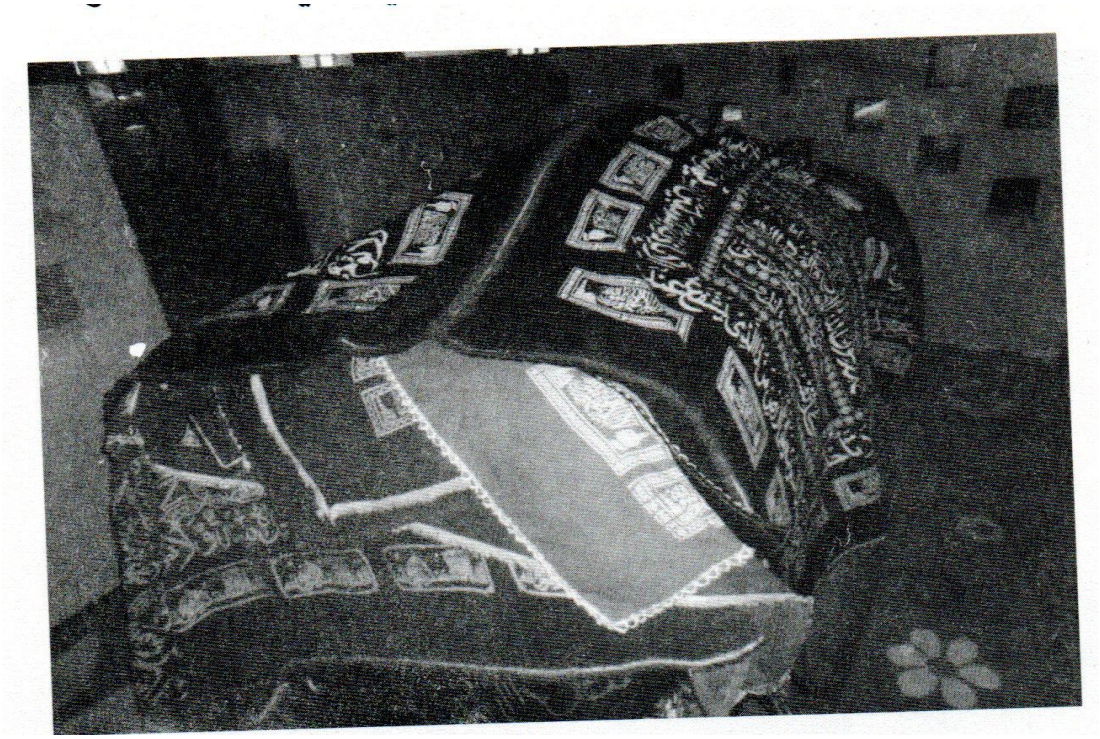

ضريح الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني بالزاوية الرقانية

مسجد الشريف مولاي عبد المالك الرقاني

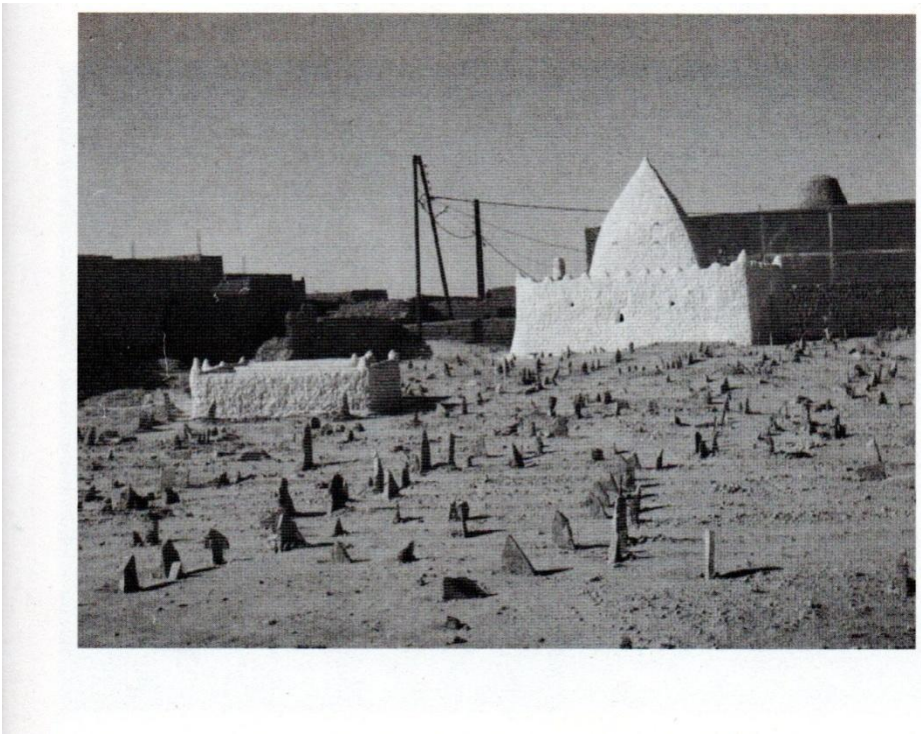

ضريح الولي الصالح سيدي محمد القرافي اليوسفي بقصر تقرافت بأولف

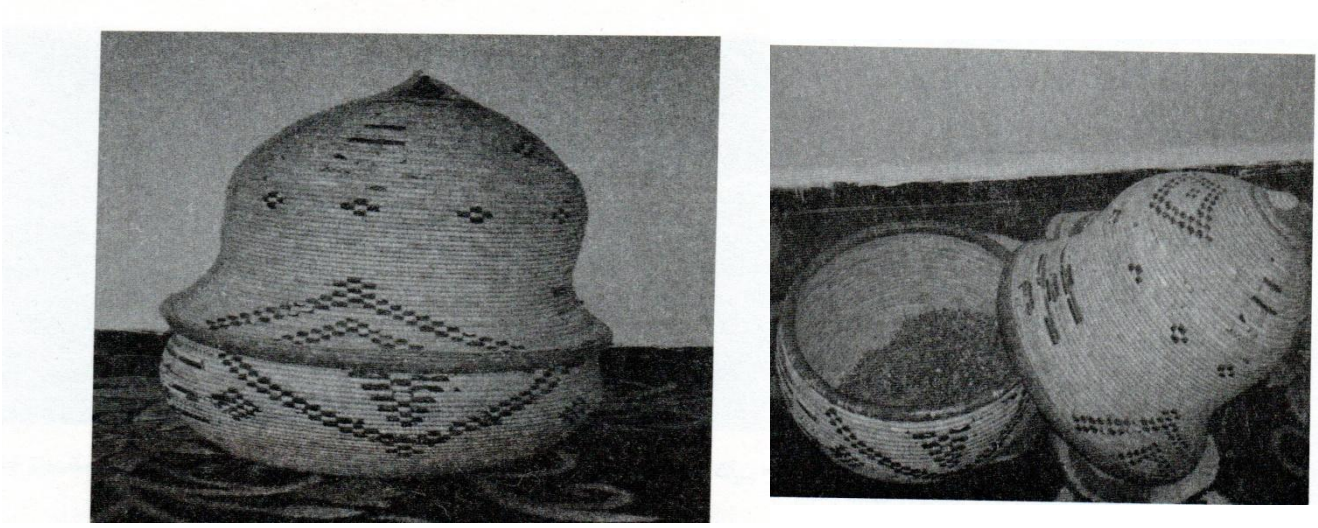

وعاء لحفظ السفوف (التدارة)

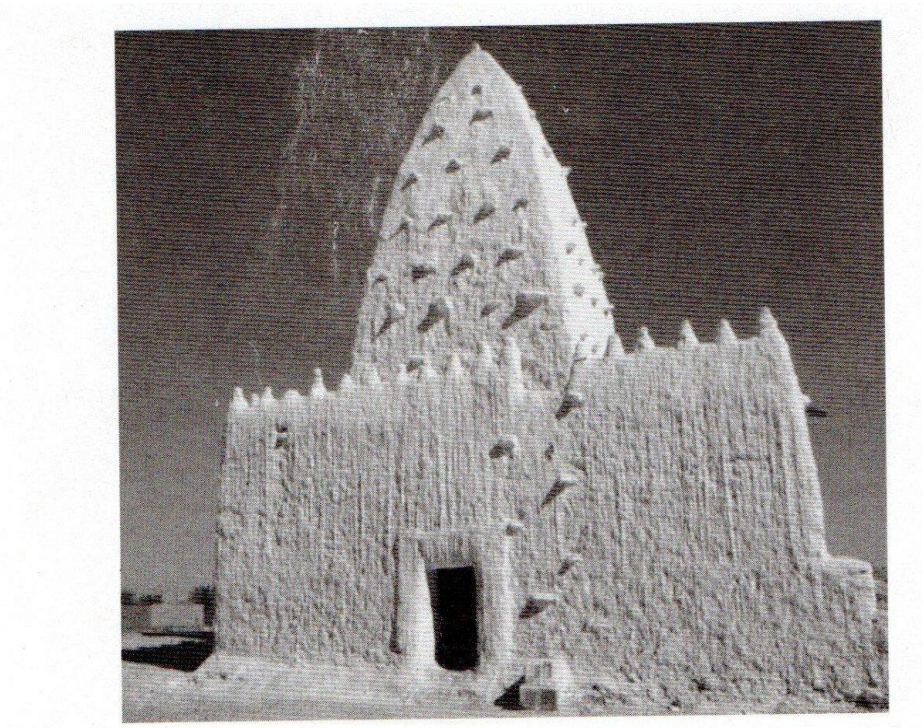

ضريح الولي الصالح سيدي بوتدارة

المقبرة الكبيرة بزاوية كنتة

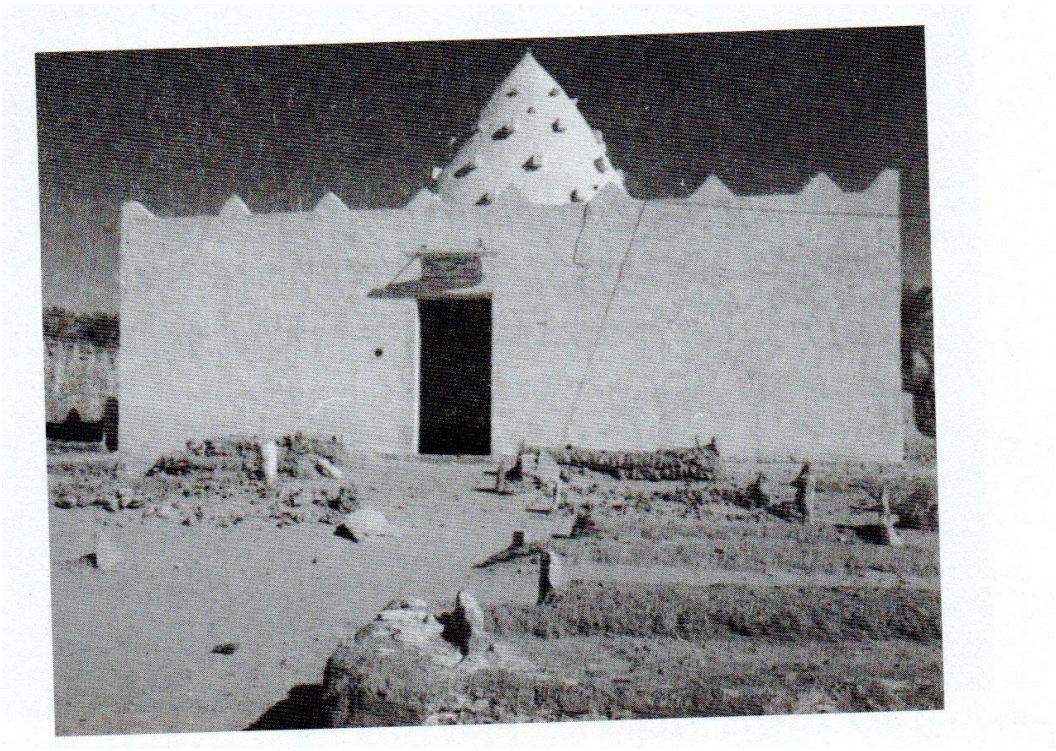

ضريح سيدي المختار بن محمد بأولف.

قائمة المصادر والمراجع

القرءان الكريم برواية حفص

1- أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات(أبحاث في التراث)، منشورات الحضارة، ط1، 2011.

2- أحمد أبا الصافي جعفري،الحركة الأدبية في أقاليم توات،ج1، منشورات الحضارة2009،1.

3- أحمد أبا صافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية، منشورات الحضارة، ط1، 2014.

4- ادريس قرقوة،التراث في المسرح الجزائري(دراسة في الأشكال والمضامين)،مكتبة الرشاد للطباعة والنشر،الجزائر، ج1.

5- إميل بديع يعقوب وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب نحو،صرف، بلاغة، عروض، إملاء، فقه اللغة، أدب ، نقد، فكر أدبي، المجلد 1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م .

6-جان عبد الله توما، أدب الرحلة والرحالون العرب المؤسسة الحديثة للكتاب ،لبنان،ط1، 2014.

7- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دارالعلم للملايين، بيروت، لبنان،ط، ط2، 1979،1980.

8- حبيب يوسف مغنية، في الأدب الحديث والثقافة (رؤى وابعاد، دار مكتبة الهلال للنشر، بيروت، لبنان،ط1، 2010.

9-حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، (منقحة ومزيدة)، 1983.

10- حسين نصار، ادب الرحلة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1991.

11- رياض وتار ،توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2002،(دط).

12-سعيد يقطين،الرواية والتراث السردي (من أجل وعي جديد بالتراث)،المركز الثقافي العربي، 1992م.

13- سميرة أنساعد, الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.

14- سيد حامد النساج، مشوار الرحلة، مكتبة غريب لطباعة، القاهرة، (د-ط)(د-ت).

15- صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف بالإسكندرية ط2، 1999.

16- ضيف الله بن أب،رحلتي لزيارة قبر الوالد، تح:أحمد أبا ربا جعفري،دار الكتاب العربي.

17- عاطف وصفي ،الانثربولوجيا الثقافية،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،(دط)،(دت).

18-عبد العزيز بن عثمان التويجري، التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية ايسيسكو،الرباط، المملكة المغربية،2011 م.

19- عبد الله كروم ،الرحلات بإقليم توات دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات،دار النشر دحلب،(دط)،2007م .

20- عيسى بختي، أدب الرحلة الجزائري الحديث (مكونات السرد)، دار هومة للطباعة والنشر، 2014م

21-أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،الجزء1،دار الغرب الإسلامي ،ط1998،1.

22- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ط2 ((منقحة ومزيدة).

23-محمد التونجي ، المعجم المفصل في الادب ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1989 م.

24- محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان ،ط8(منقحة مفهرسة) ،2005م.

25- ابن منظور ، لسان العرب ، تح: عبد الله علي الكبير وآحرون ، المجلد السادس ، ج 3 ، دار المعارف ، (دط) ، القاهرة

26- الندوة الأولى حول تاريخ أولاد السي حمو بلحاج، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مجموعة من الباحثين، دار المامون، ط1، 2008م.

27- نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الاندلسية والمغربية، دار المامون لنشر والتوزيع، ط1، 2008م.

28- ياقوت الحموي، شهاب دين أبي عبد الله، معجم البلدان، ج2، دار صادر، بيروت ، (د-ط) ، 1977م.

-المجلات:

– التيجاني مياطة، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية(دور التراث المادي واللامادي لمجتمع وادي سوف في تحديد ملامح الهوية الثقافية وتكاملها)، العدد السادس، افريل2014.

الرسائل الجامعية:

– ضياء الحق ساري لويسي تواتية، الرحلة في الأدب الجزائري الحديث كتابات أبو القاسم سعد الله، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة العربي التبسي،تبسة،2016،2017

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

شكر .....

إهداء .....

مقدمة .....

مدخل

-1مفهوم التراث : للتراث مفهومان، مفهوم لغوي ، ومفهوم اصطلاحي: 4

/2الثقافة لغة واصطلاحا: 5

-3مفهوم الموروث الثقافي: 6

-4عناصر الموروث الثقافي: 6

الفصل الأول:

الرحلة العربية وأدب الرحلات

المبحث الأول: حول أدب الرحلة :المفهوم، الدوافع، الأنواع 10

-1الرحلة في المفهومين اللغوي والاصطلاحي: 10

أ-الرحلة لغة: 10

ب-الرحلة اصطلاحا: 10

-2دوافع الرحلة: 11

ا-الدوافع الدينية: 11

ب-الدوافع العلمية 11

ج-الدوافع الإدارية: 12

د-الدوافع الاقتصادية: 12

هـ-الدوافع السياحية والثقافية: 12

و–الدوافع الصحية: **13**

–3أنواع الرحلة: **13**

–1الرحلة العلمية: **14**

–2الرحلة الدينية: **15**

–3الرحلة الاقتصادية: **15**

–4الرحلة الرسمية: **16**

المبحث الثاني:أدب الرحلات:المفهوم، النشأة والتطور: **16**

/1مفهوم أدب الرحلات: **16**

/2نشأة الرحلة عند العرب: **19**

/3أدب الرحلة في الجزائر وقيمته: **22**

قيمة أدب الرحلات: **25**

الفصل الثاني:

المورث الثقافي في رحلة ضيف الله بن أب

المبحث لأول: بين الكاتب والكتاب **29**

–1نبذة عن صاحب الرحلة: **29**

/2حول الرحلة **29**

المبحث الثاني :التراث المادي واللامادي في رحلة ضيف الله بن أب **30**

–1التراث المادي في رحلة ضيف الله بن أب: **30**

أ: الزوايا: **30**

ب– المساجد: **31**

ج–الأضرحة: **32**

د– العادات والتقاليد: **33**

هـ– اللباس والأواني المنزلية التقليدية: 36

–2الموروث اللامادي: 37

–حكايا الغزاة: 39

ب–المعتقدات والأساطير: 40

ج –التراث الشعبي: 40

خاتمة: 44

الملحقات 45

قائمة المصادر والمراجع 51

فهرس المحتويات 55